قضايا إسلامية

الإسلام والتيارات الوافدة

أنور الجندى


الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل الى البحث

واجه الفكر الاسلامى فى العصر الحديث محاولات كثيرة لاحتوائه والتأثير فيه من الثقافات الغربية والوافدة وقد جاء ذلك نتيجة الظروف التى قامت بوجود النفوذ الغربى السياسى والعسكرى فى البلاد العربية والاسلامية خلال هذه الفترة ونتيجة تأثر الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية بالمفاهيم الغربية • وقد كان لانبهار بعض المفكرين العرب بالحضارة الغربية وفكرها أثره البعيد المدى فى الظن بأن مفاهيم الغرب وقيمه التى أعطته هذا التفوق فى مجـــال العلوم والسيطرة العسكرية ، يمكن أن تحقق للبـــلاد العربية والاسلامية قدرة على مواجهة الاستعمار والتحرر

منه اذا ما حصل المسلمون والعرب على هذه المقدرات ولم يكن هذا صحيحا الى حد كبير ولم تكن قد اتضحت الفوارق الدقيقة بين نقل العلوم والمقدرات العلمية وبين نقل وسائل الترف وأدوات الزينـة وكان لخضـوع التعليم والثقافة والصـحافة للنفوذ الغربى أثره البعيد فى تقبل مفاهيم ودعوات ونظريات تختلف من حيث جذور الثقافات الغربية والاسلاميـة ومن حيث الأصـول التى تقوم عليهـا القيم الأساسية لكل من الفكرين من حيث الاختلاف فى العقائد والاخلاق والقيم والتقاليد ومن هنا نشأت فكرة اعـادة النظر فى هذه النظريات الوافدة ومراجعتها بهدف تصويب موقف الفكر الاسلامى منها والكشف عن ما يصلح منها لنا وما لا يصلح .

ولقد كان هدف النفوذ الغربى هو السيطرة على عالم الاسلام من حيث انه مصدر الخامات وسوق المنتجـات . وكان مطمحه لادامة هذا النفوذ احتواء ثقافة وعقائد هـذا العالم ومن هنا بدأت فكرة التبشير التى أحاطها الاستعمار باهتمام كبير وعمل على حمايتها وفتح الأبواب أمامها عن طريق المدارس والمستشفيات واسـتغلال ضعف الضعفاء وفقـر الفقراء ، وكانت المحاولة ترمى الى هدف واضـح بعد أن عجزت هذه المؤسسات أن تدخل مسلما واحدا فى النصرانية وهو اخراج المسلمين من الاسلام ولقد اتسعت آفاق هذا العمل وامتدت فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى

وبدأ ظاهرا مكشوفا ثم تخفى وراء مناهج التعليم ومقررات الثقافة .

ومن خلال تجربة استمرت حتى الآن أكثر من قرن ونصف قرن نرى أن هناك تركيزا شديدا على منطقتين هما : غرب أفريقيا وجنوب شرق آسيا ولكن المدارس التشيرية المتخفية وراء أسـماء مختلفة مازالت تنتشر فى كثير من بلاد الاسلام ، وهى فى مجموعها ترمى الى احتواء النشء فى حالة التكوين والمرضى فى حالة الضعف .

وقد كانت خطة التبشير ولا تزال موحدة شاملة وذات مراحل وحلقـات وقد أشرف عليهـا دعاة مدربون ، ذوو خبرة واقتدار ، وفهم عميق للهدف الذى يرمى اليه من خلال عدة مؤسسات . كالاستشراق وغيره الى احتـــواء الاسلام وتغيير مفهومه الأصيل . وأعمال التبشـــير تتبع عادة وزارات معينة ولها اعتمادات مقررة فى ميزانيـــات الـدول الكبرى ولهـا ارتبـاط مع جمـــاعة المستشرقين لاستخلاص المـادة المتجددة لاثارة الشكوك والشبهـات ونجد اليوم أن عددا من المبشرين قد تحولوا تحت أثواب علمية الى مسشرقين وعلماء امعانا فى الاختفاء وهم يظهرون فى عديد من المؤتمرات لينفثوا سمومهم .

وقد أشار كثير من الساسة الغربيين الى اهمية الدور الذى يقوم به التبشير فقال لورد بلفور وزير الخارجيـة البريطانية : ان المبشرين فى نظر الاستعمار هم عيونه

التى تقوم باطلاع الدول الغربية على النواحى التى تهمها معرفتهـا من عقـائد المسـلمين وآدابهم والثقـافات التى يتأرثون بها ·

وتشير المخططات الى أن عمل التبشير قد بنى أساسا على قواعد التربية الفعلية والتأثير فى عقول المســلمين وقلوبهم ، وبث الأفكار التى تتسرب مع اللغات الأوربية وذلك عن طريق نشر اللغـات الانجليزية والفرنسية ـ والاعلاء من شـأن اللهجات الاقليمية فى محـاولة لحجب اللغة العربية وآدابها ممـا يؤدى الى سـقوط الأوضـاع والخصائص الاجتماعية الاسلامية لتحل محّلها الخصائص الغربيــة ·

ولـمـا كان الاستشراق هو (المصــنع) الأســاسى لمخططات السيطرة بينما (التبشير) هو أداته ، فـان أصدق تعريف للاستشراق هو : استخدام العلم فى خدمة السياسة ـ ومادة الاستشراق هى أعظم معطيات التبشر عن طريق المدرسة والصحيفة وفى مجال التعليم لدعم خططه ، واثارة عوامل الخلاف وتأريث الشبهات ·

ذلك لأن الاستشراق يدرس القضايا بوجهة نظـر مسبقة وأحكام مقررة ، واهداف واضحة اساسها خدمة النفوذ الغربى ، وقوامها الاتهام للاســلام ومحاولة اثارة الشبهات حول العقيدة واللغة والتاريخ وربما عمل بعض المستشرقين فى مجال العلم ولكن غالبيتهم تخدم هدفـا واضحا يتصل بالدين وبالنفوذ الأجنبى معا ·

ويرمى الاستشراق الى التعرف على تقسيمات الامم ليكيفوا موقفهم ومعاملاتهم منها ، وليكشفوا تطلعاتهـــا ليحكموا الحصار ويحيطوها بوسائل الاخضاع والسيطرة وهم يستهدفون من ذلك كله معرفة جوانب القوة بهدف القضاء عليها ، وجوانب الضعف بهدف تعميقها وذلك فى سبيل استبقاء نفوذهم ·

ويركز الاستشراق فى الأغلب على الجوانب الضعيفة والروايات المدخولة والشبهات المشكوك فيها . والنصوص المحتملة ، ويدع الافق الواسع للفكر الاسلامى فى عظمته والتاريخ الاسلامى فى بطولاته ومواقفه ، ويركز على جوانب الخلاف حين يدرس الشريعـــة وعلى الباطنية حين يدرس الفلسفة وعلى وحدة الوجود حين يدرس التصوف ، ويركز على العامية حين يدرس اللغة ·

وتتركز البطولات عنده فى (بشار وابى نواس فى الأدب والحلاج والسهروردى فى التصوف وأبى بكـــر الرازى والراوندى فى الفلسفة) ويهاجم المتنبى والغزالى وابن خلدون وابن تيمية لانهم أعداء الفلسفة اليونانية ·

وهو يدع الف باب من أبواب الأصالة فى الفـــكر الاســـلامى ليركز على حـــواشى تتصـــل بالآثار الفارسية والهندية واليونانية فى محاولة للادعاء بأن المسلمين كونوا منها فكرهم مع أن فكرهم فى مصدره الأول هـــو القـــرآن والسنة وما كانوا ليقبلوا من هذه الفلسفات الا ما وجدوه صالحا ومتفقا مع مفهوم التوحيد ·

وهو يبعث من جديد الشبهات التى أثارتها الشعوبية قديما ويعيد طرحها من جديد ويحاول احياء الفرق القديمة والدعوات التى ماتت ولم يعد لها تراث ولا لغة ولا أدب : كالفرعونية والفينيقية ، ويحاول اثارة الخلاف بين الأديان والامم ، والمذاهب ، ويحاول الوقيعة بين العرب والمسلمين، ويهتم بأخبار الزنج والقرامطة والمجوسية ويدعى أنها ثورات اسلامية ·

وتمتد مخططات التيارات الوافدة الى اعلاء شأن الاقليمية والقومية بمفهومها الوافد ، واحياء الوثنية اليونانية فى الأدب والتاريخ والرواية وانتقاص التاريخ الاسلامى فى نفس الوقت وانكار أثر الحضارة الاسلامية ودورها فى الحضارة الحديثة ومحاولة تفريغ مفهوم العروبة من القيم الاسلامية والتاريخ والتراث ويغلب على هذا الاتجاه طابع (العنصرية) مع اطار براق من المنهج العلمى الذى يخفى من ورائه أكبر مخاطر التعصب والحقد والتشكيك والانتقاص وذلك بهدف اثارة روح الشعوبية واعلائه على مفهوم الاسلام الأصيل ·

ويصل بنا هذا الى هدف أساسى من وراء التيارات الوافدة وهو : « التغريب » والتغريب فى أبسط مفهوم هو : حمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب والتخلى عن مفاهيمهم الأصيلة ، وذلك بغرس مبادىء التربية الغربية فى نفوس الأجيال الجديدة من المسلمين

حتى يشبوا مستغربين فى حياتهم وتفكيرهم ، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف يجرى ايجاد شعور بالنقص فى نفوس المسلمين عامة وذلك باثارة الشبهات وتحريف التـــاريخ الاسلامى ومبادىء الاسلام وثقافته واعطاء المعلومات الخاطئة عن أصله وانتقاص الدور الذى قام به فى تاريخ الثقافة الانسانية ومحاولة انكار المقومات التاريخية والثقافيـــة والروحيـــة التى تتمثل فى ماضى الأمة الاســلامية ، ومن مخططات التغريب : الحيلولة دون قيام (وحدة الفكر) التى هى مصدر وحدة الأمة ، والعمل على بلبلة العقــول والنفوس بعشرات من المذاهب والدعوات وتجميد الفوارق الثقافية والانسانية فى الأمة الواحدة بمـا يحــــول دون تجمعها على مفاهيم جامعة ٠

ويعمل التغريب على محاولة صهر المسلمين عن طريق فكرهم فى الفكر الغربى والعالمى بما يضيع عليهم ذاتيتهم الخاصة التى هى أساس وجودهم وبذلك تنهار قدرتهم على مقاومة النفوذ الوافد حيث يبين لهم أنه لا سبيل للقضاء على هذه المقاومة الا بصهر المسلمين فى بوتقة الفكر الغربى واخراجهـم من قيمهم لينصهروا فى قيـم الغرب وهنــاك يجدون طابعـا من التقبل والانضـواء تحت ألوية النفوذ الغربى ٠ وهكذا نجد انفسنا أمام قضية أساسية يجب مواجهتها هى : « التيارات الوافدة » التى تعمل بمخطط مدروس فى سبيل (تغريب) الفكر الاسلامى وعن طريق الغزو الثقـافى الذى يعتبره النفوذ الغربى بديـلا للغزو العسكرى ٠

النظرية المــادية

اذا كان الغزو الثقافى وصولا الى التغريب قد اتخذ من التعـــليم والثقافة أساســـا له فان أولى القضــــايا التى طرحت فى أفق الفكر الاسلامى هى : النظرية المادية ٠

ويقوم المذهب المادى على أساس المحسوس وحده ، منكرا ما سواه من عالم الغيب (الميتافيزيقا) انكارا تاما ، وتقوم النظرية المادية على اعتبار الكون موجودا بنفســـه وقديما وغير منته ، وهو ما يخالف حقائق الأديان المنزلة وليس المذهب المادى علما خالصا ولكنه فلسفة تقوم على الافتراض ، ذلك لأنها تتصل بالجانب غير المحسوس ، وهو جانب يتحاشاه العلم لأن أنابيقه لا تستطيع أن تضعه فى مجال التجربة ، ومن هنا فان التعـــارض بين المذهب المادى والواقع ليس خلافا بين الدين والعلم ، ولكنه خلاف بين الدين والفلسفة ٠

وحين تفترض الفلسفة المادية انكار وجـود اللـه (تبارك وتعالى) والانبياء والبعث والجنة والنار وغيرهـا فهى تختلف مـع العلم الذى حـدد عمله فى دائـرة المحسوسات ولم يدخل فى الخلاف مع الأديان ومن هنا فأن النظرية المادية لا تجد سندا لها من علم أو تجربة ، أو برهان أو قياس ، ولكنها تجدد نظرية قديمة عرفهـا الاغريق القدماء . أما العلماء فانهم بعد أن تحطمت الذرة فقد أصبحوا يقرون بأن هنـاك وراء هذا الكون المادى المحسوس عالما آخر ، ويقررون أن هناك حقيقة كامنة وراء المظاهر ، وأن الكون ليس حقيقة فى ذاته وليس هو المظهر الوحيد للتعبير عن الحقيقة وأن هذه المفاهيم كلها قد وصلت الى القول بأن ليس من شك فى أن قوة مدبرة مفكرة هى التى أبدعت الكون .

وقال (أرنست وارز فورد) : « ان نظرية المادة قد هدمت وأن الذى هدمها هو ما ثبت من أن الذرة تتكون من الكترونات (كهارب) تدور حول (بروتونات) على نظام يحاكى النظام الشمسى وأن المادة لم تعد ثابتـة فقد أصبحت تتحول الى طاقة والطاقة تتحول الى مادة » .

ويقول الدكتور (محمد خليل عبد الخالق) : « ان الأسـاس الذى قامت عليـه المذاهب العلمية فى القـرن التاسع عشر قد انهار وأصـبح العلماء الآن يتكلمون عن الكون وعن الانسـان وعن الحياة ، والآن يكشف العلم عن

ميادين جديدة تبحث عن الأرواح وأصل المادة وغاية الوجود وأن مذهب دارون فرضية وليس حقيقة وهو قابل للنقض».

وقد استغلت نظرية دارون استغلالا بشعا لتدمير قيم الأديان ومفاهيم الروح وأثارت الشبهات حول حقيقة وجود الله (تبارك وتعالى) والوحي والنبوة وغيرها ، وكان الهدف من استغلال النظرية اشاعة روح الالحاد والاباحية والتأثير في مفاهيم الأخلاق والاجتماع ومن منطلق نظرية دارون ظهرت كل الدعوات والالحادية والمذاهب الهدامة . وقد استغل هؤلاء الفلاسفة أصحاب النظرية المادية (نظرية التطور) فأخرجوها الى مجال هذه العلوم فى محاولة للقول بأنه لا يوجد شيء ثابت وأن كل شيء يستحيل ويتطور . ويتحول من حال الى حال وان من ذلك الدين والاخلاق . وهى نظرية خطيرة تعزى الى مفاهيم تلمودية والحادية ترمى الى تدمير القيم والحضارات .

ويقف الفكر الاسلامى من المادية موقفا واضحا صريحا فهو يقرر أن الانسان مركب من بدن ونفس ، وجسم وروح وأن البدن من عالم المادة لانه يمتاز بالخصائص المعروفة للاجسام أما النفس والروح فانها من عالم آخر يختلف فى خصائصه عن المادة ولقد ذهب غلاة المادية الى القول بأن المادة هى كل شيء ، وهى أصل العقل والشعور ، وآمنوا بأن المادة لا تنقسم ، وهو ما سموه (بالجوهر الفرد) غير أن مفاهيم العلم تطورت فقلبت مفاهيمهم

وحطمت نظريتهم حيث اثبت العلماء أن الذرة قابلة للتجزئة وان المادة تصبح طاقة والطاقة تصبح مادة وأصبحت المادة والطاقة مظهرين لشيء واحد ٠

وهكذا كشف العلم حقيقة موقعه من قضايا الكون والغيب كله وأعلن أنه لا يستطيع أن يقتحم هذه المجاهل، ثم لم يلبث أن أعترف بان هناك كونا وراء المادة وأن هناك بوادر تدل عليه وان كان العلم غير قادر على أن يخوض فيها ٠

ومن هنا فقد كانت الفلسفة أولا وأخيرا حاملة لواء المادية والداعية اليها فى محاولة تمويه ضخمة لتصنع باسم العلم والمذهب المادى فلسفة لا علم فيها وقد رفض الفلاسفة الاقرار بميتافيزيقا الكتب السماوية وعدلوا عن الوصول الى الحقيقة عن طريق الوحى الى طريق العقل وحده فلم يصلوا الى شيء وهكذا لم تقف النظرية المادية عند هذا الحد بل كشفت عن موقفها فى صراحة حين عارضت الدين جملة وقالت انه نظام من وضع البشر فكانت النظرية المادية منطلقا لانكار وجود الله والحياة الاخرى بعد الموت ٠

وقد انطلق المذهب المادى من نقطة المعارضة لمفاهيم الدين ، ومضى على عكسها تماما ، فقال ان الوجود قديم وان المادة هى مصدر كل كائن وأن لها خصائص ونواميس عاملة لا أثر للتدبير فيها ، وقالوا انها أصل العقل والشعور وليس العقل الا افرازات المخ كما تفرز الكبد الصفراء ٠

وقد كشف العلم عن فساد هذه النظريات فقال العلامة هالدين فى كتابه (المادية) :

« لقد ماتت النظرية المادية القائلة بأن الذرات مركبة من الكهرباء وطغت عليها نظرية (الكوانتم) التى تقول أن الكهربائية تجىء شحناتها من المجهول وتذهب الى المجهول » . وقد تبين أن القول بانكار عالم الميتافيزيقا ، لم يقل به العلم وانما قال به الفلاسفة الماديون .

***

ولما كانت قضية خلق الكون والانسان مما تعجز القوى المحدودة القدرة ذات الوظيفة الخاصة عن كشفها فان الوحى ممثلا فى الكتب المنزلة على الرسل والأنبياء قد تكفل باظهار هذه الحقائق وتقديمها للانسان حتى لا يشغل بها قواه المحدودة عن وظيفتها الحقيقة ، وهى الكشف عن كنوز الأرض والبحار والجبال وفى سبيل دفع الحياة الى طريقها من العمران ، وترقيتها وتقدمها وبناء الحضارة على المنهج الأصيل الجامع بين العلم والايمان .

وقد جاء الاسلام فكشف وجه الحق فى هذه القضية تماما وحدد القرآن الكريم مسائل ما بعد الطبيعة تحديدا خاصا ، وأغنى المسلم عن البحث فيها ، ودعاه الى التفكر فى خلق الله للكون وآفاقه دون البحث فى ذات الله (تبارك وتعالى) التى ليس من اليسير الوصول الى حقيقتها ، وهو ما سماه العلماء (البحث فى الخصائص دون البحث فى الماهية) وقد أمد الاسلام المسلمين بصورة

كاملة عن عالم الغيب كله وعن الله تبارك وتعالى واليوم الآخر والجنة والنار ويوم القيامة والحساب والجزاء وحدد هذه المعالم تحديدا كاملا ، وقرر فى نفس الوقت قصور العقل البشرى عن التوصل الى شىء فى هذا المجال ونهى أشد النهى عن تجاوز هذه المعالم وقد استطاع المسلمون وفقا لهذا التعليم أن ينشئوا المنهج العلمى التجريبى وأن يجعلوه نبراسا للمنطلق الذى سنه الله تبارك وتعالى لهم فى العمل على الانشاء والعمران والتقدم ·

وقد انتقلت حركة العلم والحضارة الى الغرب فى العصر الحديث نتيجة للأصول التى اقامها المسلمون غير ان الاتجاه لم يلبث أن انحرف عن غايته فلم تلبث أن استعلت مرة أخرى النزعة العقلية واستفاقت النظرية المادية ، ونشأ ذلك النزاع التاريخى المعروف بين العلم والدين واستمر طويلا وكانت غلبة العلم مؤذنة باعلان الخصومة للدين والقطيعة له ومواجهته بفلسفات وايدلوجيات لتحل محله وتزيحه عن مكانه فى النفوس والعقول ، وكانت تجاوزات الفلاسفة والعلماء فى انكار سوى العقل والمحسوس والمشاهد ، وبذلك أنكروا عالم الغيب والروح انكارا تاما وحاربوه حربا عنيفة ، ومن ثم استغلت النظرية المادية استغلالا شديدا وكان هذا الاستغلال نتيجة أمرين :

أولا : نتيجة توقف رجال العلم عند ظواهر الاشياء

ثانيا : تحول نظرية دارون في مجـــال النظريات الطبيعية الى مجال الفلسفة الاجتماعية ، فقد كان العلم فى أذهان واضعيه الأوائل يراد به تفســير الوجود ، وكان العلماء فى أول عهدهم بالعلم يهتمون بمعرفــة (لماذا) ولكنهم أخذوا يتخلون عن هذا الاهتمام بعد أن تبين لهم عبث هذه المحاولات وعقم نتائجها ، ومن هنا لم يعد العلم يفسر الأشياء ويعللها ، وانما هو يربط وينسق ويلاحظ ويصف ويقرر ٠

ثم لم يلبث العلم أن اكتشف خطـأ النظرية المادية التى جاءت نتيجة تصوره القاصر فى اكتناه المجهول ، ومعرفة ما وراء الطبيعة وسقط أكبر حجر فى بناء المادية حين اكتشفت نظرية النسبية التى قالت ان المادة تتحول الى طاقة والطاقة تتحول الى مادة ٠

يقول العلامة (تجايمس تجيز) فى كتابه « العالم من حولنا » : كان حجر الزاوية فى بناء علم الطبيعيات فى القرن التاسع عشر : هو بقاء المادة ، وخلودها من جهة وبقاء الطاقة من جهة أخرى ، وقد بطل هذا الرأى بطلانا تاما ، وأقيم مقامه ناموس آخر هو بقاء ذاتية واحدة : هى المادة والطاقة ، بطل أن تكون كل من المادة والطاقة على حالة خالدة البقاء ، بل هما متغيران معا من حال الى حال لأنهما شيء واحد ، وبذلك تكون النظرية المادية من وجهة نظر العلم قد سقطت ، لقد تبين أن هنـــاك قوى مجهـولة

وراء المادة لها أثرها الواضح وبذلك أصبح عالم الغيب داخلا فى نطاق العلم ، غير أن ما وصـــل اليه العلم فى مجال التجريب كان شيئا مختلفا عما سعت اليه الفلسفة المادية وقطعت اليه مراحل كثيرة · ذلك أن هربرت سبنسر وعدد من الفلاسفة اتخذوا من نظرية دارون وسيلة الى اعلاء شأن المادية وقطع الصلة مع كل ما يسمى (الروح والغيب وما وراء المادة ، الوحى ، البصيرة) ·

وكانت كبرى نتائج المادية : انكار الخالق والبعث والنظر الى الانسان من حيث أنه كائن تنطبق عليه تجارب الحيوان ·

وكان هذا الفصل بين المـــادة والروح فى الانســـان والحياة : هو نقطة الضعف ومنطلق الخطر ، وقمة الأزمة التى عرفتها الحضـــارة المعاصرة وقد غلب منهج المادية على كل أبحاث النفس والأخـلاق والاجتماع وفى هذا المعنى يقول العلامة جود : ان العلوم الطبيعية قد منحتنا القوة الجديرة بالآلهة ولكننا نستعملها بعقل الأطفال ·

وقد صور الدكتور كارل فى كتابه (تحديد الانسان) هذه الأزمة الخطيرة حين قال : فرقت الحضارة منذ اليوم الأول بين المادية والروحواعتمدت على المادة حين فرق جاليليو بين خواص الاجســـام الأوليـــة كالأبعاد والوزن وهما مما يسهل قياسه ، والخواص الثانوية كاللون والرائحة · وهما مما لا يقاس ، لقد فرق جاليلو بين الكم والنوع ، وعنى بالأول وحده ، ثم حصر أتباع جاليليو همهم فى الكم وأهملوا

النوع ، وكان من شأن حماستهم فى سبيل الوزن والقياس ، أن حولت الانسان الى عوالم الطبيعة والرياضة والكيمياء ، هذا **التفكير يجب اصلاحه ليتمكن العالم من انقاذ الحضارة ، لأن فى الانسان شيئاً أكبر من الطبيعة والكيمياء ونواميسها** ، وكانت أخطاء (ديكارت) فى مجال الأشياء المادية ، وبعد كتاباته فصلت الأشياء الروحية فأصبحت مظاهر العقل بعد هذا التفريق مما لا يمكن حصره ، وبدأ بناء الجسم وطريقة قيامه بوظائفه المختلفة فى نظرهم أشد ثبوتا من الفكرة والنشوة والحزن والجمال ، وهذا الخطأ هو الذى حول الحضارة الى الطريق الذى أفضت الى انتصار العلم وانحطاط الانسان ، وذلك لأن تقدم العلم فى كل ماله صلة بالغذاء والرياضة قد تم على حساب النمو العقلى وهذا هو مصدر الأزمة » ٠

ان أخطر تحول فى النظرية المادية هو ذلك المفهوم الذى وجهتها اليه الفلسفة ونقلتها من مفهوم العلم الى مفهوم الاجتماع وهو الاتجاه الذى قصد به ضرب القيم الروحية والنفسية والدينية ومحاولة بناء نظام اجتماعى كامل على أساس المادة وقد حاولت النظرية المادية السيطرة على كل مفاهيم الفكر والحياة والمجتمع والثقافة فى محاولة للقضاء على كل مقررات الأديان وخلع الانسان من كل مقررات التوحيد والأخلاق ٠

ولما كانت النظرية المادية تمثل طابع الفكر الغربى

المعاصر ، وهو الانشطارية حيث تعتقد بوجود عنصر واحد ، هو قوام هذا العالم وهو المادة ولا وجود لعنصر غيرها فان الفكر الاسلامي يقف منها موقف الحذر والحيطة ، من حيث أن مفهوم الاسلام يمثل التكامل بين القيم ويجمع بين الروح والمادة ولا ريب أن الاعتماد على المادة وحدها في بناء منهج فكر ونظام حياة واسلوب معرفة من شأنه أن يواجه أخطارا ومزالق ومحاذير كثيرة في حياة الانسان ، حيث أن أخطر محاذيرها تحطيم القيم التي قدمتها الأديان للأمم وخاصة في مجال العقائد والمعاملات والأخلاق ، فهي داعية الى التحرر الكامل من كل قيد واسقاط كل تكليف ، وضرب الحدود والضوابط التي وضعها الدين الحق من أجل أن تؤمن مسيرتها وخاصة الاباحة في أمور الجنس والغرائز والتحرر من المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقي كمنطلق الى اللذات والشهوات العاجلة بدعوى أن الموت هو نهاية الاحياء .

● ● ●

الدارونية

تعد النظرية الدارونية من أخطر التيارات الوافدة التى كان لها أبعد الأثر فى الثقافة الاسلامية من حيث مخالفتها لقصة الخلق التى جاء بها القرآن ومن حيث سقوطها فى تقديرات العلماء التجريبيين أنفسهم ، ومن حيث ظهور حفريات تثبت استقلال خلق الانسان عن خلق الأنواع منذ اليوم الأول لظهور الانسان على وجه البسيطة ·

وما تزال فكرة الدارونية القائلة بأن الانسان والقرد من أصل واحد شائعة فى دوائر التعليم بالرغم من ظهور الأبحاث التى هدمتها وكشفت زيفها ، ومن ذلك كتاب تحت عنوان (هذا التقدم : مأساة مذهب النشوء) للكابتن (الوارت) عن مذهب دارون الذى ينكر الخلق الفجائى ، والذى بدا ناقصا بما سماه دارون (الحلقة المفقودة) التى تثبت قرابة الانسان والقرد وما دامت مفقودة يبقى مذهبا

افتراضـيا ويبقى لذلك خـارج دائرة اليقينات الثابتة ، أو يعوزه البرهان ، يقول الوارث : ان الداروينية كذبة كانت السبب الأول فى تدهور الحضارة الغربية بانيا حكمه هذا على اكتشاف اكتشفه وبرهن فيه على أن نشوء الطيور خرافـة لا كما يقول المذهب الداروني أن النشوئيين لم يهتدوا بعد الى الحلقة المفقودة التى تصل الانسان بالقرد كما يزعمون مع أنهم قلبوا باطن الأرض يبحثون عنها ، ولكن الجيولوجيا تضحك من بحثهم عن شيء لا وجود له ٠

وقد اعترف دارون فى زمانه بأن الجيولوجيا لا تؤيد وجود تلك السلسلة الدقيقة المتدرجة التى يتطلبها ناموس التشوء نفسـه بل العن من ذلك ثبت أن الداروينيـه غير صحيحة لأن وجود بقايـا الحيوانات فى الصخور لا يمكن تعليله بأى مذهب من المذاهب ٠

وقد هدم (مندل) بناموسـه عن الوراثة ناموس الانجاب الطبيعى الذى هو أساس الداروينية ، أن الداروينية زعزعت أسس الدين فلو أمكننا التخلص منها لمهدنا الطريق الى احيـاء الايمان بالخالق ، ومن الغرابة بمكان أن يبنى الناس تزعزع ايمانهم بالله مدة قرن كامل على مذهب لم يثبت بالبرهان ولا يمكن اثباته ، فالايمان بالله اسهل من الايمان بخدع العلم وأوهامه ، وهكذا نجد أن العلم ورجاله أخذوا يدحضـون هذه النظرية الباطلة التى استغلهـا الفلاسفة الماديون فى هدم العقائد ، كمـا استغلها رجال

السياسة فى خلق جو مضطرب من العنصرية حين حاولوا تطبيق نظرية الانتقاء الطبيعى فى المحيط الانسانى» ١٠هـ ٠

ولا ريب أن نظرية دارون هى مجرد افتراض وصل اليه دارون استنادا الى جزئيات مختلفة شاهدها وان لم يكن قد استوعب الا ما سمحت الظروف به فى عصره ، ولقد مضى العلم والبحث والكشف عن الحفريات الى مراحل كثيرة وخطوات واسعة ، وتبين أنه لم يستوعب كل ما هو بسبيل اليه لتقييم نظريتـه التى وصفها بأنهـا تنقضها الحلقة الأساسية التى تربط دعواه فى القول بأن الانسان والحيوان من أصل واحد ، وقد جاءت الحفريات المتوالية مكذبة لدعواه ومثبتة أن كل خلق من خلق الله مستقل عن غيره وان الحيوان مستقل عن الانسان ، وان الانسان منذ ظهر على وجه الأرض وهو صاحب قامة مستقيمة ٠

ولكن الخلفيات التى كانت وراء نظرية دارون كثيرة فقد استغلها من كانوا يطرحون نظرية تدمير عالم الجوييم (من غير اليهود) ودعاة بناء نظرية الانســان الحيوانى الأصل واستغلوها فى الدعوة الى التطور الشامل الذى لا يرتبط بأى قاعدة من قواعد الثبات ، وقد نقلوا الدعوة من مجال البيولوجيا الى مجال الاجتماع بتطبيق التطور عـلى الانسانيات والأخلاق فكـانت الدعوة الى تحطيم الضعيف والقضاء عليه سلاحا بتارا فى يد المستعمرين فى البلاد التى احتلوها من أجل القضاء على أصحاب الأرض واقامة شريعة الغاب ٠

ويقول العلماء : ان كل ما استند اليه دارون هو مجرد ظنون وافتراضات لا يسندها واقع علمى أو تأكيد حسى فى أى عصر من العصور ، منذ خلق الله الدنيا الى يومنا هذا ولم يشهد أحد بل لم يسمع بحادثة واحدة من حوادث التطور والارتقاء ولم يثبت قط أن عصفورا قد تحول الى ديك أو أن حمارا قد ارتقى الى حصان ، أو أن قردا قد تحول كما يزعمون الى انسان ، ولو حدث شىء من التطور لبعض الحيوانات فى أى عصر من العصور لظل أبد الدهر خبرا متواترا وحديثا لأجيال متعاقبة كما أعلن العلماء أن الاعتماد على الحفريات فى اثبات التطور والارتقاء لا يجوز الاعتماد عليه ، لأنه ليس فى مقدور أحد أن يدعى أنه قد أكمل التنقيب على جميع طبقات الأرض وتحت الجبال والبحار ، كذلك فان عملية التطور التى شرحها دارون واخضعها لناموس الحياة مبنية على المصادفة أو العوامل الطبيعية وهى أمور باطلة بالأدلة الأكيدة والبراهين القاطعة .

أما بالنسبة للاسلام الحنيف فانه يرفض نظرية التطور جملة وتفصيلا :

ذلك أن القرآن الكريم قد أوضح لنا كيف خلق الله (تبارك وتعالى) الانسان الأول ومم كان خلقه ، وخلق ذريته من بعده ومما كانوا أو كيف كانوا « ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون » هذا بالنسبة لخلق

الانسان الأول وهو (آدم) عليه السلام أبو البشر ، أما عن خلق أبنـــائه من بعده فقد قال تعالى « يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا· ان أكرمكم عند الله أتقاكم » ·

وقال جل شأنه « فلينظر الانسان مم خلق ، خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر » ·

وفي معرض الأطوار التى يمر بها خلق الانسان يقول الله تبارك وتعالى : « يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة · ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام ما نشـاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفـلا ثم لتبلغـوا أشدكم » ·

هذه الآيات الكريمة تبين أن الانســان خلق نوعا مستقلا وليس متطورا من نوع آخر من أنواع الحيوانات ، أيا كان هذا النوع وكيفما كان التشابه بينه وبين الانسان فى بعض الخصائص وبعض الأوضاع الجسمية ، فلو كان خلق الانسان بطريق الارتقاء والتطور لكان ما أخبر به القرآن عن خلقه لا يطابق الحقيقة ولا يتفق مع الواقع ، وهذا أمر باطل من أساسه ثم أن نظرية دارون تفرض أن الانســـان ليس الا طورا من أطوار الترقى الحيوانى وتفرض كذلك أن الحيوان يحمل خصائص التطور الى مرتبة

الانسان . والواقع المشهود يكذب هذا الفرض لتفسير الصلة بين الحيوان والانسان ، ويقرر أن الحيوان لا يحمل هذه الخصائص بل يقف دائما عند حدود جنسه الحيوانى ، لايتعداه ، ويبقى النوع الانسانى متميزا يحمل خصائص معينة تجعل منهانسانا : هذهالخصائص ليست نتيجةتطور آلى أو انتجاب طبيعى بل هى مقصودة ليخرج على الصورة التى كرمه الله تبارك وتعالى بها وفضله على سائر مخلوقاته .

ودارون ونظريته : انما تنفى تلك النفحة الالهية عن الانسان ومن جهة أخرى فان مسألة خلق الانسان الأول من الأمور الغيبية التى لا يتناولها الحس ولا التجربة ولا المشاهدة ، كما أنه ليست هناك مقدمات عقلية تهدى العقل الى معرفة واقعها ، وانما سبيلنا الى العلم بها هو أخبار الوحى الالهى الذى يرتقى فوق الشكوك والشبهات وقد نص القرآن الكريم أن يكون مبدأ الخلق عامة مما يعلمه الانسان بنفسه أو مما منح من قوى الادراك والتفكير . قال تعالى « ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا » .

ولقد تبين اليوم فساد نظرية دارون بعد أن أعلنت الكشوف والحفريات عن كذب ادعاءات نظرية التطور جملة وتفصيلا .

وبين أيدينا عدد من كتابات العلماء الذين أوقعوا أنفسهم لدراسة أصل الانسان والذين تأكد لهم أن الانسان

ليس له أى علاقة تجانس بالقرد ، وقد أثبتت الأدلة التى قام بها هؤلاء العلماء وفى مقدمتهم (جال بيغتو) (رئيس المجمع العلمى الوقتى) أنه لا يوجد جذع مشترك يتشعب منه كل من الجنس البشرى وجنس القردة الكبيرة وأن هذه النظرية ما تزال مفتقرة الى البرهان الحاسم وأن هـــذه المشابهات بين القرد والانسان ليست كافية للجزم وبوجود أصل للانسان والقرد

ويقول دكتــور (جـال بيغتو) : أنه ليس من المعقول أن الانسان الحاضر ربما انحط عن منزلته غضون ملايين السنين القـادمة ليترك المجـال لحيوان من الحيوانات ليحل محله ويسيطر على الكون ، وهـــذا الافتراض مرفوض ، لأن الانسان • لم يظهر على الأرض مجرد صدفة بل انما كان بمثابة الهدف الأخير من تنظيم الكون ، ولذلك ظهر مركبا فى أكمل تقويم ، ويقول دكتور رونالد جونسون (أستاذ علم الأجناس البشرية) **أن العلماء يستطيعون أن يقولوا بنسبة ٩ر٩٩ فى المائة من الثقة أن الانسان سار منتصبا على قدميه منذ بداية تاريخه الانسانى منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة** ، أعلن هذا فى مؤتمر صحفى فى مارس ١٩٧٤ وهو يمسك فى يديه بخمس قطع من العظام يرجع تاريخها الى ثلاثة ملايين سنة عثر عليها فى أواخر عام ١٩٧٣ فى أثيوبيا ويعتبر الآن واحدا من أعظم الاكتشافات فى التاريخ الطبيعى للأجناس البشرية فقد ظهر الانسان كائنا فريدا فى نوعه وسط دنيا من الوحوش الكاسرة وان هذه العظام

قد سدت الثغرة التى ظل العلماء يتحدثون عنها تحت اسم (الحلقة المفقودة) وأن ما وصل اليه الدكتور رونالد جونسون كان خاتمة حفريات كثيرة تمت خلال سنوات ١٩٦٩ وما بعدها فى كينيا ووادى أفار فى الحبشة ، ومن أهم ما تصور الجماجم فريدة فى نوعها يتميز بسعة الدماغ مما جعل العلماء يخرجون بانطباع عام هو أن الانسان لم ينحدر من سلالة مشتركة تطورت مع الوقت انما كانت له سلالته الخاصة المشتعلة وقال الدكتور جونسـون أن المعلومات التى أمكن التوصل اليها عن طريق عظام الساق والفخذ فى مجال تكوين الحوض والبناء العظمى العام تقرر بانتصاب الانسان وأقول اننا نملك أدلة واضحة وجلية على أن الانسان القديم كان يسير منتصب القامة منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة ٠

وهناك تصريحات أخرى لعدد من العلماء فى مراحل أخرى وعن حفريات أخرى تؤكد هذا المعنى وبالجملة فقد أصبح العلماء الآن عن طريق الكشوف الأثرية وتقريرات العلم الحقيقى ــ لا الفلسفة ــ متأكدين مما جاء به الدين الحق وجاء به الاسلام من أن الانسان خلق مستقلا وتاما وأنه سيد المخلوقات وصدق الله العظيم حيث يقول :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » ٠

● ● ●

وقد نتجت عن نظرية دارون آثار عميقة فى مجال الاجتماع البشرى وذلك عندما حول بعض المفكرين هذه النظرية (البيليوجية) الى مفهوم تطور اجتماعى عام حاول أن يفرض نفسه على الاجتماع والتاريخ والنفس والأخلاق .

ومن تلاميذ دارون : توماس هكسلى وألفرد ولاس وارنست هيكل وهـم الذين اذاعوا النظرية مع شىء من التحويل فقد باتت النظرية وكأنها أخرجت لرجال السياسة وعلماء الاجتماع أكثر مما أخرجت لعلماء الاحياء ، وبذلك تركت أثر الصراع من أجل البقاء فى أوساط السياسة والحرب وكان لمبدأ (البقاء للاصلح) أثره فى الاستعمار وابادة الأجناس المغلوبة وظهرت خـلال ذلك نظرية القوة والتمييز العنصرى والشعوب المختارة ، كما صنعت نظرية القسوة عند نيتشه ، ومن ذهب مذهبه من علماء الجرمان وظهرت نظرية التميز العرقى والممتازون سادة البشر .

وقد تلقف نظرية التطور معلنو الحرب على الأديان فأفاضـوا فى الادعاء بهزيمة الدين وانتصار العلم وبأن الانسان وحده هو صاحب القداسة والاتصال بالملأ الأعلى وان الكون قد خلق من أجله ولخدمته .

وكان أخطر ما تحـولت اليـه نظـرية دارون فى التطور ، القول بأن هناك تطورا حتميا لا شعوريا وقد تبين أن هـــذه النظرية قامت على تعميمـات واعتمدت

مصادر ، وأغفلت سواها من أجل تأكيد وجهتهـا الباطلة وقد حـاول مصممو نظرية التطور الاجتمـاعى القول بأن كل شىء يتطور وانه لا يوجد شىء ثابت على الاطلاق وان التطور يجعل كل طور أفضل من الطور الذى سبقه ، وقد كان واضحا أن صياغة النظرية على هذا النحو هى محاولة من محاولات متعددة لانكار قاعدة الثبات الأصيل القائم فى الكون والوجود ومعارضـــة الأديـان والحقـائق الكبرى والنواميس الأسـاسية التى يعترف بها العـالم وكذلك انتقاض مفاهيم المحافظة والقديم والثوابت ووصفها بأنها مفاهيم جامدة . ولكن هذا الاتجاه لم يمض دون أن ينكشف فساده .

فقد كشف العلم عن أخطاء نظرية التطور الفلسفى التى أريد فرضها على المجتمعات والثقافة ــ فى معارضتها الأساسية لقوانين التوازن والتكامل بين الجديد والقديم ، وبذلك خرجت نظرية التطور الفلسفى عن مفهـوم العلم الذى يقرر أن القديم والجديد عنصران متكاملان من عناصر الحياة وانهما متلازمان وضروريان لبقـاء الحيـاة ، وأنه لا سبيل لظهور الجديد الا من خلال القديم كما كشف العلم عن الفارق بين التطور والتطوير وان التطور قد يكون تحسنا ورقيا وقد يكون تأخرا وانتكاسا ، أما التطوير فهو الذى يعنى التغيير التصاعدى الذى يهدف الى الترقى .

وقد تكشف فساد نظرية النسبية ونظرية التطور المطلق ونظرية وصف الأخلاق بأنها متطورة بعد فصلها عن أسسها التى جاء بها الدين ·

● ● ●

العلمانية

العلمانية فى كلمة : هى فصل الدين عن المجتمع والدولة وقصره على العلاقة بين الله والانســان وهو ما يعرف باللاهوت أو الاقتصــار على جانب العبادات وبعض الأديان هى كذلك ولكن الاســـلام يختلف فهو دين عبادة وشريعة وأخــلاق فى نفس الوقت ٠ وقــد ظهرت فكرة العلمانية فى أوربا نتيجة عدة عوامل منها موقف رجال الدين من النهضة والكشوف العلمية ومنها هدف بعض القوى الراغبــة فى السيطرة فى القضــاء على ســلطان المسيحية فى المجتمعات ، وبذلك يتاح لهذه القوى السيطرة والنفوذ الاقتصادى ٠ ومن هنا يبدو ذلك البغض الشديد للدين واضــحا فى فلسفات عديد من الفلاســفة أمثــال (نيتشه وماركس وفرويد) ٠

وقد تأثر العالم الاسلامى والفكر الاسلامى بظلال

هذه النظرية وهذه الدعوة ، وكان للبعثات التبشيرية والارساليات وسيطرة النفوذ الاستعمارى على مناهج التربية والتعليم أثره فى اعلاء هذا الاتجاه وتعميقه ، بعد عزل الاسلوب التربوى الاسلامى الجامع .

ومن حق الغربيين أن يقفوا موقفا ما ازاء دينهم وتفسيرات عقيدتهم التى وقفت ضد نهضتهم وضد كشوف العلم وفرضت محاكم التفتيش وغيرها من أساليب السيطرة ، أما بالنسبة للمسلمين والعرب فان الموقف يختلف اختلافا كبيرا ، فان الاسلام كان مصدر العلم والحرية والمساواة وداعية الاخاء الانسانى ، فضلا عن ذلك فان الصلة المحكمة التى تربط الدين بالمجتمع هى احدى خصائص التاريخ الاسلامى فليس فى التاريخ الاسلامى كله ما يشير الى قيام دولة (ثيوقراطية) أى دينية ولم يقع يوما أن علماء الدين فى الاسلام (وليسوا رجال الدين) أمسكوا فى أيديهم أزمة السلطة السياسية العليا ، وذلك نتيجة سبب بسيط هو أنه لا وجود فى الاسلام للكهانة ولا لطبقة ممتازة تدعى (رجال الدين) ولهذا يستحيل أن توجد فى الاسلام مؤسسة تشبه الكنيسة فى المسيحية التى تختص بأسرار الدين وطقوسه .

ومصطلح العلمانية : مصطلح له طابع التمويه فقد أريد به تخفيف وقع كلمة (لا دينية) على الاسماع ، برده الى الاشتقاق من العلم أو العالم ، وتعنى الكلمة (سيكولر)

أن النفوذ الديني يجب أن ينحسر والعلمية تعنى مسألة علاقة بالدنيا وليس بالدين ، وقد شاعت وذاعت هذه الكلمة في مرحلة الخصومة الشديدة في أوربا بين العلم والدين ، واستتبعت أبعاد الدين كعنصر تكوين قومى كما عنيت بحياد الدولة تجاه الدين : كل دين ٠

والعلمانية فى محيط الفكر الاسلامى دعوة لا ضرورة لها ولا نتيجة فليس فى هذا المحيط هيئة تقوم مقام الكنيسة وليس علماء الاسلام هم رجال دين وليس فى الاسلام حكومة (ثيوقراطية) قامت أو نص على قيامها ٠ ولما كان للاسلام دين ونظام مجتمع ، وقد امتزج الاسلام بالمجتمع الاسلامى امتزاجا كاملا عقديا وعضويا ، مما لا سبيل الى نزعه فقد شكلت هذه الأمة على هذا النحو ولن يستطيع أحد أن يغير فطرتها ٠

والاسلام دين ودولة وحضارة ، فلا يمكن فصله عن نظام المجتمع من حيث انه يعطيها المبادىء الانسانية العامة ، أما المسيحية فهى تدين بمبادىء لا تتعارض مع العلمانية ، أما الاسلام فانه يتعارض كليا وجذريا مع هذا المفهوم ولذلك فان الدعوة الى العلمانية تعنى تعطيل الاسلام عن التطبيق وأقصائه عن الحركة في حياة المسلم ، ولقد حاولت قوى الاستعمار والتغريب تدمير المجتمع الاسلامى باقصائه عن شريعته وفرض القوانين الوضعية عليه وتحويله الى نظام الربا فى الاقتصاد والى مناهج التعليم الوضعية فى مجال التربية ٠

وذلك كله بهدف خلق أجيال تابعة تبعية كاملة للفكر الغربى • وقد صار للعلمانية بعد حجب النظام الاسلامى السياسى وظهور الاقليميات والقوميات أثر واضح فى تغيير حركة المجتمع الى نحو مغرب يتحلل من مقومات الضوابط والحدود والقيم الأساسية •

ولما كان الاسلام قد شكل مجتمعه منذ اليوم الأول على تكافل القيم الثلاث (العقيدة ــ الشريعة ــ الأخلاق) وأن رسوله كان نبيا وفى نفس الوقت هو الحاكم ورئيس الدولة وقائدها وقاضيها ، فان فكرة العلمانية ستظل مرفوضة تماما •

ولما كان الاسلام لم يواجه من التحديات ما واجهه الغرب فى اختلافه وصراعه مع الكنيسة ورجال الدين أو مقاومة ما أطلق عليه نظرية التفويض الالهى فان المجتمع الاسلامى ليس فى حاجة الى قبول هذه الفكرة •

فالاسلام لم يواجه صراعا مع العلم أو مع رجال الدين أو مع سلطان الملوك على النحو الذى عرفته أوربا فضلا عن الاسلام لم تقم فيه الدولة الثيوقراطية (أى الحكومة الدينية) •

ومن الحقائق الواضحة : أن الاسلام قد سوى بين المواطنين جميعا فى الحقوق والواجبات وجعل من حق أى مواطن الارتقاء الى أعلى المناصب ، وحرية العبادة فى الدولة

الاسلامية مكفولة لجميع المواطنين والمبادىء الاجتماعية فى الدستور الأساسى توافق جميع الديانات ·

ومن العجب أن هناك قوى كثيرة تضغط اليوم على المجتمعات الاسلامية لتعرض عليها العلمانية بينما الأمر قد تغير تماما فى الغرب ، فان هذه التجربة التى استمرت ثلاث قرون لم تستطع أن تحقق هدفها فى المجتمعات الاوربية ولم تخرجها اخراجا كاملا من قيمها الدينية وقد عجزت العلمانية أن تحقق أهدافها فى اقامة دولة ومجتمع ينحصر فيها الدين على الصعيد الفردى ، ولم تستطع العلمانية أن تحصر الدين فى الفرد فقط ، ولم تستطع ان تجعل أبناء الطوائف المختلفة يتخلون عن أخوتهم الدينية ، فالدول الأوربية لم تتخل عن دينها ولا يزال الدين له نفوذه ولم تستطع العلمانية حتى الآن فى الغرب أن تحقق أهدافها فى احتواء التربية والتعليم ·

وقد جاءت الدعوة الى العلمانية فى المجتمعات الاسلامية بعد أن استطاعت القوى الاستعمارية أن تحجب مفاهيم الاسلام فى الاقتصاد والتربية والاجتماع فهذا الوجود للظاهرة ليس حقيقيا وليس مقبولا من المسلمين ، وقد كانت النتائج خطيرة غاية الخطورة نتيجة الاضطراب الذى واجه المجتمع الاسلامى لغياب قيمه الأساسية القادرة على حماية أخلاقه وآدابه ·

هذا فضلا عن سماحة الاسلام ومرونته فى التعامل

مع العناصر المختلفة فيه حيث لم يكن الاسلام يوما مصدر صراع أو جدل أو خلاف على النحو الذى عرفته أوربا ولم يشارك فى الاستبداد وظلم الملوك والأمراء ، بل على العكس من ذلك كان دائما ضد الظلم والاستبداد ، فضــلا عن قدرته الفائقة فى استيعاب كل تقدم علمى وصناعى . هذا فضلا عن أن الاسلام لا يقر حرية الالحاد ، ولا يقبل أن تكون التربية منفصلة عن الدين والأخلاق ٠

واذا كانت أوربا قد قبلت نظام العلمانية فلأنهــا قامت على مفهوم دينى معــروف هو ، أن ما لقيصر لقيصر وما لله لله ، ولكن الاسلام يجعل ما لقيصر وما لله كله لله تبارك وتعالى ، فالاسلام نظام شامل يمس حياة الانسان فى شتى نواحيهــا من المهد الى اللحد ويتفق مع صــميم الحياة الانسانية ٠

● ● ●

الفصل الرابع

مفاهيم العلوم الانسانية والاجتماعية

تشكلت مفاهيم العلوم الانسانية والاجتماعية فى اطار النظرية المادية التى شكلها الفكر الغربى بعد أن انفصل عن مفاهيم المسيحية الغربيـة وعلى أثر الخـلاف الشديد الذى وقع بين رجال العلم ورجال الدين وقـد قامت فى مجموعها على أساس واضح هو :

أولا : التجاهل الكامل للدين المنزل وانكار جانب الغيب والمعانى الروحية والوجدانية والاقتصار على التصور المادى البحت ٠

ثانيا : النظر للانسان على أنه حيوان يخضع لغريزتى الطعام والجنس مع التجاهل الكامل لجانبه الروحى ٠

ثالثا : تفسـير الأحداث والمواقف بمقيـاس مادى خالص دون اعتراف أو تقدير لجوانب العاطفة أو الوجدان أو الروح ٠

رابعا : التفسير المادى للتاريخ والعجز عن تقـدير جوانب العطاء الانسانى فى مجال الايمـان والعقيدة أو الرحمة والغيرية ٠

● ● ●

وقد طرحت الفلسفة المـادية مفهوما مفصلا للعلوم الاجتماعية تنفصل فيه المادة عن الروح حيث يبرز الجانب المادى ويختفى الجانب الروحى تمـاما ، وفى مجال العلوم الانسانية فان هذا الانفصال يبدو قويا وعميقا لأنه يتنكر تماما للوجدان ولأركان بناء الشخصية وتأثيره فى توجيه الفكر والسلوك ، واذا كان الغرب قد تقبل هذا الفصل بين القيم فان الفكر الاسلامى حين طرحت هذه المفاهيم فى أفقه بدت مضطربة أشد الاضطراب وذلك للاختلاف العميق بين الأصول التى تشكل منها كل من الفكرين حيث تشكل الفكر الاسلامى من عنصرى الروح والمادة الذى تشـكل منهما الانسان نفسه مما خلق تعارضا شديدا بين المجتمع الاسلامى وبين المجتمعات الغربية فى الأسس والمبادىء التى ينبنى عليها التصور العام للكون والحياة والوجود حيث يحصر التصور الغربى الوجود كله فى الانسان والطبيعة ويرى أنه جزء منها ونوع من أنواعها وان الطبيعة أوجدت نفسها هكذا من غير موجه لها ، وأن العقل وحده هو طريق معرفة الحقائق وليس ثمة طريق آخر وليست المثل الأخلاقية والمفاهيم الحقوقية الا وقائع أو حوادث كالحوادث الطبيعية بدأت وتطورت فهى غير ثابتة ، والانسان نفسه انما هو

حيوان اجتماعى يفكر فحسب وليست النفس الانسانية الا مجموعة من الغرائز ٠

ومن الواضح البين أن هذه الخلقية العقائدية الغريبة تقف على طرف التباين مع ما لدى المسلمين بعامة من نظرة الى الكون والوجود وأن ما يقرره الغرب بشأن مفهوم العلوم المادية لا يتفق مع نظرتنا نحن المسلمين ٠

فالاسلام لا يقر محاكمة العلوم الانسانية الى قوانين العلم المادى والحيوان كما أنه لا يقر قضية مسئولية المجتمع بل يفرض مسئولية الفرد ، وكذلك فالاسلام يقرر الالتزام الأخلاقى وهو يفتح للانسان أبواب الرغبات فلا يمنعه من شيء منها ويضع له الضوابط الكفيلة بحمايته من أخطار الانحراف ويرفض فتح الطريق أمام الأهواء المدمرة للفرد والمجتمع على السواء ٠

ان اخطر ما فى نظريات العلوم الانسانية الغربية (فى النفس والأخلا: والاجتماع) أنها مادية صرفة وأنها ترمى الى تدمير النفس الانسانية حيث تجعل مصدر تصرفات الانسان مركزة فى الغريزة وتعلى من حيوانية الانسان وتنكر روحانيته وتحاول بذلك كله أن تخلق صراعا عنيفا بين الأب والأم والزوج والزوجة ، لهدم قوامة الرجل على المرأة وتحطيم قيادة الرجل للاسرة وتستهدف خلق أجيال هشة فاسدة متحللة لا تستطيع أن تقوى على حماية مقدرات الأمم ومقدساتها ٠

ولا ريب أن قبول مفهوم الغرب الانشطارى المائل الى المادة وحدها والمتجاهل لجوانب الانسان الاخرى الروحية والمعنوية من شأنه أن يصل بالانسان الى التمزق والضياع وقد تمزقت المجتمعات التى عزلت نفسهـــا عن الفطرة بالاغراق فى الروحية كما تتمزق اليوم نفس المجتمعـــات التى عزلت نفسها عن الفطرة بالاغراق فى المادية وهمـــا اسلوبان ضالان وبينهما طريق وسط جامع متكامل هو : المفهوم الاسلامى للحياة ٠

ونحن نختلف مع الفكر الغربى فى تفسير المفـــاهيم الانسانية ، بمناهج العلوم المادية على أساس القول بأن الانسان مجموعة من اللحم والعظم والشهوات والأهواء ٠ وانها جميعا يحكمها منطلق واحد : هو (الغريزة) على النحو الذى قدمه (فرويد) أو (المعدة) على النحو الذى قدمه ماركس ٠

والاسلام يقرر خلافا لمفهوم الفلســفة الماديــة : ان الانسان مخلوق كريم ، اختاره الحق للاستخلاف في الأرض ووكل اليه عمارتها بميثاق أمانة ومسئولية فردية والتزام أخلاقى وليس حيوانا خاضعا لغرائزه ولكنــه مهيأ وفق ارادته لأن يختار أحد الطرفين (وهديناه النجدين) وهنا مناط (الأمانة) التى وكل الله (تبارك وتعالى) أمرها اليه والتى تقوم على الاختيار والانســان بمفهوم الاسلام قابل

للخير والحق والهدى مهيأ لذلك فى صورة هداية الله ومن هنا كانت حاجته الى الوحى والنبوة والرسالة ٠

أما الفكر الغربى فانه يقول بعكس ذلك تماما ويرى أن طبيعة الانسان ليست فى حاجة الى توجيه الهى وان الانسان قد وصل الى مرحلة الرشد فلم يعد فى حاجة الى وحى السماء ، وهذا كله باطل تماما ، ذلك لأن الحضارة المادية قد قدمت انجازات للانسان فى المجالات المختلفة الخاصة بأسلوب العيش ولكنها عجزت عن أن تمده بأى تقدم فى مجال المفاهيم النفسية والروحية والاخلاقية لانها أنكرتها أساسا ولم تعد تعبرها ذات قيمة ما ٠

وفى مجال الاسلام يختلف الموقف عن الفكر الغربى فى دعواه التى تقول بأن هناك صراعا بين الجسم والروح ، لقد ألغى الاسلام هذه الفكرة الزائفة ودحضها ، وكشف عن الحقيقة التى تقوم على أن الجسم والروح متكاملان وبذلك سقط مفهوم الرهبانية القائمة على الرياضة العنيفة وتدمير الجسد من أجل تحقيق الصفاء الروحى ، ومن هنا فقد نظر الاسلام الى الانسان أكرم نظرة : نظرة قوامها الروح والجسد معا وجعلهما معا موضع التكريم ودعا الى الاهتمام بالطهارة الجسدية والنظافة والزينة ٠

١ ـ العلوم الاجتماعية :

يقوم مفهوم (العلوم الاجتماعية) فى العصر الحديث على اعتبار الانسان حيوانا تحكمه المعدة والشهوة وأنه خـــاطىء ، وأن عليـه ان يسرع فى اقتنــاص اللــذات والشهوات قبل أن يموت وأنه ليس بعد هذه الحيـــاة حيـــاة أخـــرى وأنه ليس مسئولا مسئولية فردية فان المسئولية هى مسئولية المجتمع وأن الدين خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها وأن الحياة مادة وهى تتطور الى ما لا نهاية وكل شىء فيها نسبى وأن الاخلاق هى تقاليد المجتمع المتغيرة مع أوضاعه الاقتصادية ، وأن الانسان وما يتصل به من عواطف ومشاعر وأدب يمكن أن يحاكم محاكمة المادة والحيوان ٠

وهذا المفهوم للعلوم الاجتماعية مستمد من النظرية المادية ويختلف مع مفهوم الاسلام عن الانســـان أساسا الذى يجمع بين قبضة الطين ونفخة الروح ٠ وقد واجهت نظرية العلوم الاجتماعية منذ اللحظة الأولى ردود فعل تكشف أهواء الدعاة اليها وقد وضح أنها متعارضة تماما مع حقائق العلم ومع طبيعة الفطرة الانسانية ، وعن عجز العلوم المادية عن قياس العواطف والمشاعر والاحاسيس ٠

كذلك تنكر مفاهيم العلوم الاجتماعية الغربية حقيقة أساسية فى الاسلام هى أصالة قيام الاسرة منذ العهـود البشرية الأولى فى محاولة من أصـحاب هذه المفـــاهيم

لتضحية الاسرة من أجل قيام مشاعية المجتمـــع ، وفى المفهوم الأصيل ان الاسرة تكونت فى بداية البشرية ولم يتخل جيل من الاجيال عنها ٠

وأن القرآن الكريم يقرر أن الاسرة نظام اجتماعى أصيل قال تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » صدق الله العظيم ، كذلك فان الاسلام لا يعترف بأى نظرية عن تطور العائلة على أساس أن المرأة كانت مشاعة فى عهد البشرية الأولى ثم تكونت العائلة بمرور الزمن بفعل عامل اقتصادى (وذلك ما تحاول بعض دراسات الانثروبولوجيا دسه وهو غير صحيح علميا وتاريخيا) ٠

وهكذا تجرى النظرية الاجتماعية المادية فى محاولة للتشكيك فى أصل هذا النظام توطئة للدعوة الى القضاء عليه ، والنظرة الصحيحة ترى أنه ربما غلبت هـــذه الدعـوة مرة أو مرات على مدى التاريـخ الطويل بحـــكم الاستثناء الذى يحدث لاستعلاء الباطل والشر ، ولكن الواقع أن هذه المحاولات كانت تتحطم بسرعة وتفشـــل فشلا ذريعا ، لأنها تعارض الفطرة وتيار التاريخ ٠

وبعبارة واحدة : أنه قد عجزت كل المحاولات التى مرت على مدى التاريخ للقضاء على الاسرة ويظل نظـــام الاسرة ثابتا مكينا ، ذلك لأن الاصول الانسانية التى

يقوم عليها ليست من صنع الافراد ، ولا هي خاضعة لما يريد الفلاسفة أو صناع الايدلوجيات ، كذلك يكشف الاسلام زيف المفهـوم الذى طرحه ما يسـمى علـم (الانتروبولوجيا) والقائل بأن البشرية بدأت وثنية ثم عرفت التوحيد ، أو القول بان الدين نظام اجتماعى قابل للتطور مثـل الجماعة نفسـها فى تاريخهـا من تشريع وأخـلاق ، ذلك لأن الحقيقـة العلميـة هى أن البشرية عرفت التوحيد بأول انسان وهو آدم عليه السلام ومع أول نبى وهو نوح عليه السلام وانهـا ظلت تتداول التوحيد والوثنية عصرا بعد عصر ولم يكن هناك عصر واحد خال من دعوة التوحيد ، كذلك فان الاسلام ليس دينا وضعيا يخضـع لما تخضع له الايدلوجيات من تحوير وتعديل وتطوير ، وانما هو دين موحى به من السماء وقد أحكمت آياته على نحو يجعله صالحا لكل الأزمان والعصور والبيئات ، وانه جاء على نحو من المرونة واتساع الاطر بما يجعله قادرا على ملائمة الفطرة البشرية ·

ولذلك فهو لا يخضع لما تخضع له الأديان الوضعية

● ● ●

٢ ــ النظرية الاخلاقية

تقول النظرية الغربيــة فى الاخلاق = أن مبادىء الاخلاق ما هى الا مجموعة من الظواهر الاجتماعية تملى على الأفراد دون أن يكون لهم دخل فى بنائها أو فضــــل فى الايمان بها ، ويقول : ان الاخلاق تختلف عــن (الدين) وأنه لا صلة بين الدين والاخلاق وان الاخلاق هى استجابة النفس الى الوسط فاذا ما تغير الوسط تغيرت الأخلاق ، وأن هذا الوسط يتسع ويضيق باختلاف الزمان والمكان ، كذلك تقول النظرية . « أن الأمم ليست فى حاجـة الى الأديان ولكنها فى حاجة الى الأخلاق ، وانه يمكن الاستغناء عن الأديان اكتفـاء بالضمير الانســانى » . أما النظرية الماركسية فترى ان الأخلاق مثل الســـياسة ، والقوانين تخضع للاحوال الاقتصادية والظروف المعيشية لكل مجتمع، ومجمل القول فى الفكر العربى بشقيه ، أن الأخلاق نتاج البيئة وأنهـا تختلف باختــلاف الأمم والعصور وتغيرات المجتمعات ولاريب أن هذه النظرية غير مقبولة فى الفــكر الاسلامى فضلا عن سذاجتها وقصــورها وانشــطارها فى فهم النفس البشرية ومضادتها لحقائق التاريخ وسير الأبطال وحيوات الأمم وانها ضد الفطرة ولا يقرها العلم ومفهوم الاســـلام .

أما ما يقرره الاسلام فان طبيعــة الانســـان ثابتة لا تتخلف وان الأخلاق جزء من الدين فالاســلام عقيــدة وشريعة وأخلاق ، وان هناك فارقا عميقا بين الاخــلاق

الثابتة المتصلة بالدين نفسه وبين التقاليد التى تتصل بالمجتمع ، وتتغير بالأسباب الطارئة ، فالاسلام يفرق بين الأخلاق والتقاليد ، والدين والأخلاق فى الاسلام لا ينفصلان .

والقرآن الكريم هو أصل الأخلاق الاسلامية، والاسلام يربط بين القول والعمل والقيمة والسلوك ، والاخلاق فى الاسلام قاسم مشترك على مختلف أوجه الحياة : سياسية واجتماعية وقانونية وتربوية ، وغاية الاخلاق فى الاسلام بناء مفهوم (التقوى) الذى يجعل أداء العمل الطيب واجبا حتما ويجعل تجنب العمل الضار واجبا محتما ، ويجعل الخوف من الله (تبارك وتعالى) أقوى من الخوف من القانون والعقوبات الوضعية ويقرر الاسلام : أن القيم الأساسية ثابتة لا تتغير لانها صالحة لكل زمان ومكان وأن الأخلاق والعقيدة والشريعة ليست من صنع الانسان ولذلك فهى قائمة على الزمان ما بقى الزمان ، وعلى اختلاف البيئات والعصور ، وأن الحق سيظل هو الحق لا يتغير .

ولذلك فان أبرز قواعد الاسلام هو : (ثبات القيم) وبالتالى ثبات الأخلاق وأن (الالتزام الخلقى) هو قانون أساسي يمثل المحور الذى تدور حوله القيم الأخلاقية ، فاذا زالت فكرة (الالتزام) قضى على جوهر الهدف الأخلاقى ، ذلك أنه اذا انعدم الالتزام انعدمت المسئولية واذا انعدمت المسئولية ضاع كل أمل فى وضع الحق فى نصابه .

وفى الغرب أخلاق بلا التزام وفى الاسـلام أخلاق ملتزمة وثبات القيم فى العقيدة والشريعة يجعل ثبـات الأخلاق قيمة أساسية قائمـة على أسـاس القاعدة التى تتمثل فى أن طبيعة الانسان ثابتة لا تتخلف ، وقد جاء الاسلام ليقدم لها الضوء الكاشف ، والهدف الصحيح ، الذى يحفظها من القلق والتمزق والتشـاؤم والحيـرة واليأس · وهو بغير هذا العطاء لا يستطيع أن يواجـه الحياة ·

ولقد ذهب العلم الحديث فى منجزاته الى آفاق بعيدة عن المتاع المادى والرفاهية ولكنه ظل عاجزا عن أن يعطى الانسانيـة لمحة سكينة أو نفحـة طمأنينـة · ان الطبيعة الانسانية لا يمكن أن تجد طريقها الحق الى الأمن والأمان الا فى الاتصال بالله تبارك وتعالى وفى التماس منهجه ·

ومن هنا قرر الاسلام أن هناك قيما ثابتة لأنها ليست من صنع الانسان هى الأخلاق وقيما متغيرة لانها مرتبطة بالناس والمجتمعات ، فى العادات والتقاليد ، ومن الخطأ الخلط بين الثوابت والمتغيرات من القيم الأصيلة الربانية ومن القيم التى صنعها المجتمع ·

● ● ●

٣ ـ مفاهيم النفس :

وفى مجال مفاهيم (علم النفس) كانت هناك نظرية فرويد التى لم تكن الا خيطا واحدا من عدة خيوط طرحها علماء آخرون ربما كانوا أكثر عمقا وفهما للنفس الانسانية من فرويد ، ولكن مفهوم فرويد فى اعلاء الجنس استطاع أن يسيطر على مناهج العلوم الاجتماعية والأدب والقصة وعلى دراسات التربية والأخلاق ، وبذلك حمل الينا أخطر المفاهيم وأبعدها عن الفطرة ، وكانت له ولا تزال آثاره البعيدة المدى على التحلل والانحراف والفساد الذى تموج به المجتمعات ٠

والحقيقة أن نظرية فرويد فى التحليل النفسى لم تكن الا مجموعة من الفروض والتى استقاها من تجربته مع المرضى والشواذ والمصابين وليس مع الاصحاء والأسوياء ، وهى وجهة نظر مطروحة للنظر وقابلة للصواب والخطأ ، وهى فرضية تشكلت من أحاسيس ربما تكون خاصة فى مجتمع معين ، وفى الحقيقة أن الاهواء غلبت فيها على العلم ، فلم تثبت أمام التجربة وقال كثير من الباحثين المتعمقين : ان فرويد أقرب الى المتنبئين منه الى العلماء وأنه يرمى بنظرياته وآرائه دون أن يقدم لها البرهان العملى أو السند الواقعى ، وانها تقوم فى أغلبها على الافتراض ثم تصديق ما يفترض ، فيبنى عليه وكأنه حقيقة علمية لا يأتيها الباطل ٠

وقد أثبتت الدراسات العلمية بما لا تقبل الجدل أن الدافع الجنسى يخضع للتربية بمعنى أننا نستطيع تربية الانسان على العفة بحيث يضبط دافعه الجنسى ويتحكم فيه ، وبذلك تكون العفة أمرا ليس ممكنا فحسب بل ضروريا ، ويرى الباحثون **أن نقطة الضعف الأساسية فى فرويد كعالم أنه اتخذ من دراسة نفسه وطفولته قاعدة للتعميم ، والوصول الى قوانين عامة ، وقد ترك فرويد فى كتاباته عن نفسه وعن حياته ما يثبت أنه كان يتخذ من تحليل أخلاقه وهواجسه ومشاكل حياته قاعدة كل تعميماته ·**

وتتميز الفلسفة الفرويدية بانها ميكانيكية جبرية ، (أى انها تعارض أبرز مفاهيم الاسلام وهى ارادة الفرد التى هى مناط مسئوليته) كذلك فقد كشفت الأبحاث التى أجراها الاطباء النفسيون عن فساد نظرية فرويد بأن اقبال رجال التربية على لوم الآباء هو المسلك المدمر فى تربية الابناء ويقول العلماء أنهم درسوا أحوال ١٥٨ طفلا غير منحرف منهم الفقراء والاغنياء وقد نشأ الاولاد أصحاء مستقيمين بالرغم من قيود التربية القاسية ويدلل على ذلك بأن مسلك الطفل يتأثر بعدد كبير من العوامل وليس بالبيئة والوسط والحالة الاجتماعية وحدها ·

ودعا الدكتور « ناثان كلاين » من كبار الباحثين الى نبذ نظرية فرويد وقال انها : ليست سوى معول هادم لعقول الشباب ومخدر مميت لنفوس أبناء الشعب ·

ويقرر بعض الباحثين أن فكرة فرويد فى أن غرائز الانسان هى التى تحكمه وتسيطر على نشاطاته وأن الجانب المسمى بالروح لا وجود له مطلقا ، **انما هى مؤامرة ترمى الى هدم وتحطيم القيم الأساسية التى جاءت بها الأديان .**

وتعقيبا على ما سبق نرى ان مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق كلها مضطربة ، وليس لها سند علمى أو واقعى ، وانما تقوم على أهواء البشرية وترمى الى تدمير المجتمعات **أما موقف الاسلام من هذه المفاهيم فهو واضح** مضىء كفلق الصبح ، حيث يقف الاسلام موقفا واضحـــا صريحا من النفس والسلوك الانسانى فهو يأخـذ الكائن البشرى كاملا ولا يفصل بين نفسه وجسمه أو بين عواطفه وعقله ، أو بين ماديته وروحانيته ويؤمن بأن الانسان : ثابت الجوهر متغير الصورة وأنه لا سبيل الى تفريـــغ كيانه من مضمونه ، أو النظر اليه على أنه الهيكل البشرى خاليا من الروح والوجدان .

ولذلك كله فالاســلام يعمد الى ايجاد التوازن فى نفس الوقت بين قواه المختلفة مما يؤدى الى (التوازن) فى المجتمع نفسه ، فيحاول ان يحفظه من التمزق دون أن يعتزل الحياة بالرهبانية أو يصرع نفسه فيها بالاباحيـة فالتوازن الدائم هو الذى يحقق للانسان قدرته عـلى أداء رسالته وممارسته تجربته دون أن يفقد المسئولية باعتزالها ودون أن يعجز عن احتمال الأمانة والانحدار عنها .

والاسلام يعترف بالكائن البشرى كما هو ويحقق له رغبات جسده وعقله وروحه ، كما يعترف بالنشاط الحيوى للانسان ويقر حق الفرد فى مزاولة هذا النشاط فى حدوده الطبيعية ـ هذا الاعتراف بالطبيعة البشرية وحق ممارستها يحول دون ما يسمى بكبت أو تمزق أو ضياع ، وانما يقع التمزق والضياع والكبت نتيجة الفصل بين القيم واعلاء شأن احداها ، اعلاء الروحانيات بالزهادة المطلقة ، أو اعلاء الماديات بالاباحة المطلقة ، ومن حيث تكون النظرة الى الحياة متكاملة جامعة فان الانحراف لا يقع ، ذلك أن النظريـــة المادية الخالصة هى وحدها التى تخلق التشاؤم والتشكيك والقلق الذى يحس معه الانسان أنه وحيد وغريب وشقى، هذا هو معنى التمزق والضياع ، فى المفاهيم الاجتماعيـــة والانسانية الغربية ، وهو طارىء عليهـم ، ولا يوجد فى مجتمعنا الاسلامى الذى يقوم على تكامل القيم ، فان الايمان بالله وحده يؤدى الى الثقة والطمأنينة (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) ويجعل معه التفاؤل والرضا بقضاء الله ، ذلك أن الايمان بالله قوة دافعة تحول دون اليأس وتزرع الأمـل ، وتبعث الثقة وتدعو الى المعاودة فى حالة الاخفاق ٠

ومن هنا فليس فى الاسلام طوابع الانهزام أو اليأس أو التشاؤم الذى يغمر كتاب الغرب ، كذلك فان مفهـوم الاســـلام يقوم على الغيرية والتضـحية والتقوى ، بينما يقوم الفكر الغربى على فكرة الرفاهية والترف وهى تتعارض مع مفهوم البذل والعطاء ٠

كذلك فان دراسة معطيات الفكر الاسلامى فى عوالم النفس والأخلاق والاجتماع تكشف بوضوح عن سبق علماء المسلمين فى هذا المجال .

يعزز هذا فضل الأشعرى والغزالى والجنيد وابن خلدون ، وقد كشفوا ـ قبل الباحثين الغربيين ـ حقيقة النفس والجنس وقالوا : ان النفس لها جوهر روحانى بما يرى من شرف طباعها ومضادتها لما يعرض للبدن من الشهوات والغضب ، وأشاروا ان الغريزة الجنسية ركبت فى الانسان لفائدتين :

اللذة وبقاء النسل ، وقالوا ان لهذه الشهوة افراطا وتفريطا واعتدالا ، أما الافراط فهو ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال الى الاستمتاع بالنساء ، والجوارى ، فيبعدهم عن سلوك سبل الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وأن التفريط فى هذه الشهوة هو الضعف ، وهو مذموم .

ويمتزج مفاهيم النفس الاسلامية بالأخلاق والدين وترمى من وراء ذلك الى أن يكون سبيلا الى اصلاحها والى تهذيب الأخلاق والوصول بالمسلم الى شاطىء النجاه فى رضاء الله

وبمراجعة مفاهيم الأخلاق والنفس والاجتماع فى تراث الاسلام ويتبين أن للمسلمين أولية شامخة كريمة فيه

قد تجوهلت واختفت ويجب استعادتها وأن كتابات الدكتور (محمد عبد الله دراز) عن قانون الأخلاق فى اطروحته الكريمة وما كتب فى السنوات الأخيرة عن علم النفس الاسلامى وعلم النفس الاجتماعى ليعطى علامة حقيقية على طريق الأصالة والعودة الى المنابع ٠

● ● ●

٤ ـ الوجودية :

من الدعوات الهدامة التى راجت رواجا كبيرا فى العالم كله : الوجودية وقد وجدت صدى وسعا فى بعض البيئات لأنها جاءت بعد أن أفسحت لها الطريق مذاهب وأفكار من المادية وانكار الله تعالى وانكار البعث ، وما حملته الرياح من أفكار تقول باعلاء الجنس واباحة الرغائب ، وقد كانت الوجودية رد فعل لأشياء كثيرة منها : الدعوات التى ترى أن الانسان ليس الا ترسا فى آلة كبيرة وأنه ليس له وجود أو كيان منفصل ومنها صيحة الحرب المدمرة وما حصدت الحرب العالمية الأخيرة من أرواح وما يزال يتهدد العالم من أخطار الصواريخ العابرة للقارات والقنابل الذرية ، كل هذه الأخطار حين تواجه النفس الانسانية التى تجردت عن الايمان بالله لا تجد طريقا لها الا الاتجاه نحو طريق الانحلال ٠

ان فلسفة الوجودية هى فلسفة العبث والغثيان وانكار معنى الحياة والقول بأنها حياة بلا هدف ولا معنى وأن العالم وجد كى يموت فيه الانسان ٠

ولا ريب أن استعلاء نظرية فرويد فى التركيز على الغريزة الجنسية وتشابكها مع القول بأن الأخلاق ليست ثابتة ، قد فتح الباب واسعا أمام اسقاط جديد به تتحلل معه الضوابط والمقومات التى تفصل بين الخير والشر ، وبذلك اندفعت النفس البشرية اندفاعا خطيرا الى مجال الخوف والذعر والضياع وقد حسبت أن اندفاعها لتحقيق مطامعها وأهوائها وشهواتها وكسر كل القيود والحدود سيحقق لها السعادة أو الطمأنينة ٠

ولا ريب أن الوجودية هى صيحة اليأس والتمزق بعد أن انقطعت النفس الانسانية عن كل مصادر الايمان بالله ومصادر الخير والرحمة والحب والاخاء البشرى ، وماتت كل القيم الانسانية العليا التى يقوم عليها نظام المجتمع والحياة ٠

انها ثمرة اليأس من رحمة الله والانفصال عن الايمان بخالق الكون ، والاندفاع وراء المادية التى ولدت فى النفوس ذلك الخواء الروحى ومن هنا فان ما وصفت به الوجودية من أنها مرض الانسان فى منتصف القرن العشرين لا تعدو الحقيقة فهى تحمل فى مجملها جراثيم الملل والقلق والسأم واليأس والضياع والشعور بالاغتراب ويرجع سبب انتشار هذه النحلة أساسا الى اعتناق الغرب للمذهب المادى ،الذى يفتح الباب واسعا أمام الانحلال والاباحة والرغبة فى اقتناص اللذات قبل فوات الأوان ٠

وقد كانت حياة قادة الدعوة الوجودية قلقة مضطربة وقد حفلت حياتهم بالاضطرابات ، وأخطر ما فى الفلسفة الوجودية دعوتها الى نفى الالوهية ، والى عبـــادة الذات واطلاق الحريات الى أبعد مدى • وقد حاول سارتر انكار الاله وتأليه الانسان ، وفى رواية الذباب يخاطب سارتر (رب الارباب) جوبيتر ، فيصفه بما عرف فى الفلسفـة اليونانية من مفهوم خاطىء عن الله تبارك وتعالى فيقول : ما أن خلقتنى حتى انفصلت عنـــك وتخليت عن نسبتى اليك) •

وقد وصف الحاد سارتر بأنه الحاد يتصف بميزة غالبة على الالحاد الحديث وهى أنه ليس مجرد انكار لله ، بل هو أبعد من هذا ، انه يضع الانسان فى مواجهة الله أو يعلن تجاهله لوجود الله عز وجل ، على حد قوله « الاله موجود فالانسان عدم » •

وليست فكرة تسلط الاله على البشر فى مسرحيـــة الذباب الا صورة من الفلسفة اليونانية وهى فكرة زائفة ، والعودة الى احيائها رجوع بالبشرية القهقرى بعد أن صحح الاسلام مفاهيمها فى علاقة الله (تبارك وتعالى) بالانسان وهى علاقة الرحمة والعفو كما ترتبط الفلسفة الوجوديـة بالخطيئة الأصلية التاريخية فى المسيحية •

ويقول الدكتور محمد غلاب : ان منشأ القلق بل الغم أحيانا عند أولئك المفكرين ، هو أن المسيحيـــة لا تقدم

ترضية تامة الى مطالب العقل الذى يتوق الى فهم كل شىء ، بل ان العقيدة السليمة كثيرا ما تتطلب تخلى الفكر عن رسالته لأن بعض مبادئها يصطدم مع العقل الذى لم يعد لقبولها ٠

ان أبرز أخطار الوجودية : أنها تعامل الانسان كحيوان مادى ، وتدعوه الى الانطلاق والتحرر من كل قيد أو ضابط أو قيمة ، وتقوم أساسا على انكار الالوهية وانكار البعث والجزاء والأخلاق ، وهى تنطلق أساسا من فكرة خطيرة هى : اليأس من الحياة ٠

وقد وصفها دكتور جارودى بأنها فلسفة هدم لا بناء ، فلسفة تدمير الشخصية الانسانية ، واسقاط النفس الانسانية فى مجالات اللذة والشهوات بحيث تصبح غير قادرة على الدفاع عن نفسها أو تركيز جهودها وتستهدف الاستمتاع السريع وخشية الموت ٠

التفسير المادى للتاريخ

نشرت الفلسفة الغربية بساط المادية فأصبح أساسا لكل النظريات العقائدية والاجتماعية (بما فيها الاقتصاد والأخلاق) ٠

وهكذا أصبحت النظرية المادية أساسا لكل مقررات الفكر الغربى بشقيه الليبرالى والمـــاركسى ، واذا كانت النظرية المادية قد أصبحت أساسا للفكر الأوربى ، فان التفسير المادى للتاريخ أصبح أساسا للفلسفة الاجتماعية حتى أطلق عليها اسم (المادية التاريخية) ٠

وبذلك يكون المنحنى الخطير الذى اتجه اليه الفكـر الغربى خلال عصر التنوير قد حقق هدفه فى تغليب الفكر البشرى بكل مقدراته القديمة وابتعاثه من جديد ٠

وتقوم النظرية على تفسير الحياة الانسانيه من خلال

التفسير المادى والاقتصادى ، فالتفسير المادى للتاريخ يقوم على أن القوى المادية هى وحدها صاحبة السلطان الأكبر فى نشاط الانسان كله وهى العنصر الفعال فى تاريخ البشرية ، وأن عوامل الانتاج المادى هى اساس التغييرات الاجتماعية والانسانية والروحية والفكرية ، وأن الفنون والتشريع وغيرها من مظاهر الحضارة غير المادية هى نتائج ملازمة وصيغ اضافية للمادية التاريخية ·

ويرى ماركس ، أن المادة تفسر كل شىء فى الكون وفى المجتمع الانسانى ، وأن العامل الحاسم فى حركة التاريخ يتمثل فى علاقات الانتاج وأنه حين يحدث التناقض بين علاقات الانتاج فأن ذلك يؤدى الى الانفجار والى تغير فرعى وجذرى فى العلاقات ، ولذا فأن التاريخ صراع بين طبقات تريد الاحتفاظ بالعلاقات القديمة وطبقات تريد التغيير ، وأن التاريخ لهذا هو صراع طبقات·وتقول المادية التاريخية: أن التاريخ من صنع البشر وان أفكار البشر هى بمثابة انعكاسات للظروف الاقتصادية وان الحالة الاقتصادية التى تعيش فيها الأمة هى مصدر الانقلابات والحروب وتطور الاخلاق والجماعات ·

ومن منطلق التفسير المادى للتاريخ يتشكل مفهوم الفلسفة الماركسية التى تقوم على أساس أنه ليس للكون خالق بل الكون مادة وان الأديان مخدر للعقول يجب التحرر منه وانقاذ الانسانية من شره ، وأن المادية هى التى أنشأت

الحضارة الصناعية الحديثة وان الفرد وسيلة وليس غاية وهو ذرة تفنى فى جسم الدولة ٠

والتفسير المادى للتاريخ : مفهوم جـــزئى مرتبط بالفلسفة المادية أساسا ، ذلك لأن عوامل تفســير التاريخ عديدة ومختلفة ٠ وأبرزها العامل الروحى والمعنوى الذى كان له أثره البعيد فى تغيير مجرى التاريخ ، فالاسلام يقرر أن هناك دوافع أخرى غير الدوافع الماديـــة تنبعث من أشواقه الروحية ومن ذلك :

١ ـ انكار الذات ، والتسامى على الضرورات والبذل والتضحية وقد حفل تاريخ البشرية بأحداث خطيرة تمثل هذه الجوانب وهى بالقطع تشهد بأن الانســان ليس فى تصرفاته وحركته ماديا صرفا ٠

٢ ـ كذلك فان العامل الاقتصادى ليس العامـــل الوحيد فى تفسير التاريخ ، وهناك تأثير البيئات جغرافيا وتأثير العوامل الطبيعية وتأثير العقائد والقيم وهناك الحب والكراهية والطموح والتفوق ، وهناك المثل العليا القائمة على الايمان بالله وتحقيق ارادته فى اقامة المجتمع الربانى فى الأرض وهى ما تعلق بها الانبياء وأتباعهم ٠

٣ ـ كذلك فان مفهوم الاســـلام لا يقــر بنظرية التطور المطلق التى سيطرت على الفكر الاجتماعى الغربى ، متجاوزة الحقيقة التى يقدمها تــاريخ الأمم والحضـــارات

وتتمثل فى الترابط بين الثوابت والمتغيرات ومن أبرز أخطاء النظرة التى تقوم على التطور المطلق أن تتجاوز كل المعتقدات والقيم الأساسية التى قدمتها الأديان للبشرية والتى أقامت الضوابط والحدود والالتزام الأخلاقى والمسئولية الفردية فى محاولة لدفع التاريخ الى تفسير جبرى خالص ·

٤ ـ كذلك فان الاسلام لا يقر الجبرية ويقرر وجود الارادة الفردية القادرة على التغيير ، والتى ترفض النظرية المادية التى تقول ان الانسان مجرد آلة فى يد العوامل الاقتصادية ، كذلك ويعترف الاسلام بأن قدرة الانسان قاصرة ومجال تأثيره محدود ، وأنه لا يستطيع التحكم فى كل مقدرات الحياة والكون ، ومعنى هذا : أن الانسان له قدرة على الحركة والتغيير فى دائرة محدودة ، كذلك لا يرى الاسلام أن غاية الانسان تقف عند حدود حاجته الى الطعام والجنس كما تصور ذلك الفلسفات الماركسية والوجودية ، ولكن للانسان غايات أكبر من ذلك وأوسع دائرة وهى الغايات المعنوية والروحية ، وأنه من أجل هذه الغايات والمعتقدات يقدم ماله وحياته ويحارب ويستشهد وأن القول بان دافع الانسان هو المصلحة الذاتية أو المنفعة أو طلب المتعة ليس صحيحا على اطلاق أو ليس هو الهدف الوحيد ·

٥ ـ بل أن قانون السببية نفسه الذى تعلل به أحداث التاريخ لا يصلح على اطلاقه ، فان هناك حالات تخفى عوامل التأثير فيها أو تخرج عن قانون السببية

نفسه حيث تكون ارادة الله العليـــا التى تمثل الدائرة الأوسع من ارادة الانسان هى المسيطرة عليها والمحركة لها ٠

وليس الاقتصاد وحده هو الذى يحرك التاريخ ولكن هناك عوامل كثيرة منها الدين والقوميات ويأتى الاقتصـــاد فى المرحلة الثانية ٠

٦ ـ كذلك فقد أعطى الاسلام للبشرية : قانون قيام الحضـــارات والأمم وسقوطهـــا ، وكيف أن الأمم التى تستغرقها عوامل الترف والتحلل والمتعـــة وتنصرف عن الحياة الجادة فانها تخرج بذلك عن ارادة الله فى الحركة الواعية الايجابية ، وبذلك تسقط وتنهزم ، فالأخلاق هى حجر الرحى فى بناء الحضارات والأمم ، والأخلاق تقـوم على الارادة القادرة على الحركة ، والمتجهة نحو الخير والحق والعدل والرحمة ، فاذا تراخت الحركة أو قصرت أو تحولت فى اتجاه الظلم والشر فانها تعـــرض نفسها للســـقوط والانهيار ٠

قال تعـالى :

« أو لم يروا كم أهلنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرار وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم ، فأهلكنـــاهم بـذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين » ٠

صدق الله العظيم

● ● ●

وهكذا يقدم الاسلام منهجا كاملا لتفسير التاريخ يختلف عن المنهج الغربى يقوم على أسس ثابتة :

أولا : الانسان هو سيد الكائنات وله ذاتيته الفردية الخاصة وله ترابطه بالمجتمع الذى لا يقلل من فرديته ، وهو مدعو الى الخروج من الأنانية الى الغيرية .

ثانيا : الجنس البشرى : واحد المصدر والأصل ، وهو بالرغم من انقسامه الى أمم وشعوب ، فهو مدعو الى الالتقاء والتعارف والاخاء (لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى) .

ثالثا : للانسان ارادته الفردية ومسئوليته فى حدود ارادته ، وهو مدعو الى تغيير الواقع الى أفضل عن طريق العمل الخالص لوجه الله تبارك وتعالى ..

رابعا : البعد الأخروى مرتبط بالبعد الدنيوى ، والبعد الثابت مرتبط بالبعد المتحرك ، والالهى والبشرى يتلاقيان دون تعارض أو تضاد .

خامسا : يعترف الاسلام بالعلاقات السالبة والموجبة بين قوة الله المطلقة وبين الارادة الانسانية المحدودة التى تصنع التاريخ .

والارادة الانسانية هى بمثابة سبب من أسباب الله (تبارك وتعالى) الكثيرة فى الكون لها دورها فى توجيه التاريخ وتشكيله .

ويصور (ولفرد كاتبول سميث) مفهوم المسلم للتاريخ على النحو الآتى :

ان المسلم يحس بالتاريخ احساسا جادا ، انه يؤمن بأن الله قد وضع نظاما عمليا واقعيا ، يسير البشر فى الأرض على مقتضاه ، يحاولون دائما ان يصوغوا واقع الأرض فى اطاره ، ومن ثم فهو يعيش كل عمل فردى أو جماعى ، وكل شعور فردى أو جماعى بمقدار قربه أو بعده من واقع الأرض لانه قابل للتحقيق . والتاريخ فى نظر المسلم هو سجل المحاولة البشرية الدائمة لتحقيق ملكوت الله فى الأرض ومن ثم فكل عمل وكل شعور فرديا كان أو جماعيا ذا أهمية بالغة . لأن الحاضر نتيجة الماضى والمستقبل متوقف على الحاضر ، فالمفهوم الاسلامى واضح الايجابية فبينما غير المسلم يضحى بنفسه لأنه لا يريد أن تمر عجلة التاريخ الخاطفة وهو حى ، وسامح لها بالمرور ، فهو يقف فى طريقها حتى تدوسه وتقتله ويكون ذلك أغلى قربان يتقدم به الى الله فان المسلم حين يضحى بنفسه ففى حسه أن هناك نظاما الهيا يراد أن يطبق فى واقع الأرض وفى حسه وهو يضحى بأن يدفع عجلة هذا النظام خطوة الى الامام » أ . هـ .

ويقول الدكتور تريتون فى كتابه (الاسلام : عقيدته ومبادئه) اذا صح القول ان التفسير المادى يمكن أن يكون صالحا فى تعليل بعض الظواهر التاريخية الكبرى

وبيان أسباب قيام الدول وسقوطها **فان هـــذا التفسير المادى يفشل فشلا ذريعا حين يرغب فى أن يعلل وحــدة العرب وغلبتهم على غيرهم وقيام حضارتهم واتساع رقعتهم، وثبات أقدامهم فلم يبق أمام المؤرخين الا ينظروا فى العلة الصحيحة لهذه الظاهرة الفردية فرأوا أنها لا تقع الا فى هذا الشىء الجديد ، الا وهو الاسلام » ٠**

مفهوم الحضارة الغربية

حاول الغرب أن يفرض على المسلمين مفهوما للحضارة يختلف مع قيمهم : فهى تعمل على أن تجعل من القيم المادية وقيم الاستهلاك والاندفاع فى الحصول على اللذات ومغانم الحياة سبيلها الى رسم طريق الحياة دون تقدير لمهمة الانسان الحقيقية ومسئوليته فى الحياة والتزامه الأخلاقى وجزاءه الأخروى ·

يقول الدكتور (الكس كاريل) فى كتابه (الانسان : ذلك المجهول) أن الحضارة العصرية تجد نفسها فى موقف صعب لانها لا تلائمنا لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ، ونظرياتهم ورغباتهم ·

ان أهم سمات هذه الحضارة ، أن المادية البربرية التى تتسم بها حضارتنا لا تقاوم السمو العقلى فحسب ،

بل انها أيضا تستحق الشخص الباطني واللطيف والعفيف، **وأولئك الذين يحبون الجمال ٠**

وتقول عن سبب انحراف الحضارة ومصيرها أنهـا تجعل الانسان مقياسا لكل شيء ، ولكن الواقع غير ذلك ، **انه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ، لأنه لا يملك معرفة** عملية تطبيقية ومن ثم فان التقدم الهائل الذى أحرزتـه **علوم الجمال على علوم الحياة هو أحد الكوارث التى عانت** منها الانسانية ٠

ويرى ارنولد توينبى : أن أزمة الحضارة الغربية هى الدين ، ويقول **ان الحضارة الغربية المتدهـــورة لا يمكن انقاذها الا بالدين ، ذلك لانها مصابة بالخواء الروحى الذى يحول الانسان الى قزم مشوه يفتقد عناصر وجوده الانسانى** ويعيش الحد الأدنى من حياته ، وهو حد وجوده المادى ، فحسب ، مما يصيبه بأمراض السأم الروتينية وفقدان الهدف فى كل ما يأتى خواء روحى يحول المجتمع الى قطيع يركض بلا هدف كما تركض القطعان ، دونما تفحص لمعنى مسيرته الهوجاء ٠

ويرى توينبى : أن الحضارة المتدهورة لا يمكن انقاذها **الا بالدين الذى يرسى التوازن بين النفس والمجتمع ، بقدر ما فى طاقة البشر وطبيعة الدنيا ٠**

ويرى بعض الباحثين : أن تبعية الحضارة الحديثة

لأخلاقيات الحضارة الرومانية واليونانية فى عبادة الجنس قد أسلمتها بمرور القـــرون الى حياة الاباحيـــة وتحطيم الضوابط التى لا بد منها فى توجيه الطاقة الجنسية الى بناء الحياة لا تدميرها ويقول العلامة لاسكى : "لقد فقـــدت الحضارة ثقتها فى نفسها وايمانها العميق بحيـوية القيم الثقافية السائدة وعجزت عن تحقيق الوفاق بين عالم المثل الأعلى المتمثل فى كتابات الانســانيين وبين حقـائق هذا الواقع الحافل بأهوائه ومطامعه وخصوماته ، ان الحضارة تمر بمحنة من الشك والخوف والالحاد وتمييع المعاييــــر الثقافية والقيم الأخلاقية بصورة تنذر بشر مستطير ·

وقد أجرى عدد من الباحثين تحليلا واسعا حول أزمة الحضارة الغربية كان أبرزَها :

أولا : مصادمتها للفطرة الانسانيـة وانهـا أهدرت خصائص الانسانية كجنس وفرد ونوع وقـــد بدأت فى ظروف جعلتها تنفر من الدين فقد عادته وحاربته معاداة حاقدة ، وأصبحت المادية أخص سمات الحضارة المعاصرة ولم يكن للقيم الانسانية بمفهومها الشامل مكان فيها فضلا عن نهب ثروات الأمم المتخلفة بعد استعمارها ·

ثانيا : ان الخطأ الفادح الذى وقعت فيه الحضـارة المعاصرة هى عزل العلم عن القيم ، ومازال هذا الخطأ قائما وما زال العلماء فى الشرق والغرب لا يرون للقيم سلطانا عليهم أو مدخلا فى معاملاتهم ·

ثالثا : لقد أفلست كل القيم الوضعية التى سادت فى العصر الحاضر فلم تكفل للناس حياة السلام والاستقرار وانما جلبت عليهم الاضطراب والصراع والتمزق ٠

رابعا : أخفقت الحضارة الغربية فى صنع الانسان وتربيته أو تلبية حاجاته فقد حرمته الراحـــة والتوازن ومنحته القلق والجشع وسحبت من تحته بســاط الأمن والاستقرار فنحن نجد أكبر نسبة للانتحار هى فى أكثر الدول رقيا ماديا كالسويد وسويسرا ، ونرى الوجوديـة تشجع على الانتحار ومفارقة الحياة بوصفها عبثا وسأمـا وغثيانا ٠

وقد قدمت الأحداث على مدى الاعوام الماضية صورا غاية فى الخطورة تكشف عن مدى انهيار الحضارة الغربية وفى مقدمتها : ادمان الخمر ، وموجة الانتحار الجماعى ، والانحلال الخلقى وتدهور القيم وظاهرة الجريمة وانهيــار الاسرة الغربية ٠

وقد ادان الحضارة الغربية كثير من العلماء والباحثين وكشفوا عن فسادها وانحلالها وعن قرب غروبها وعــــن وقوع مظاهر انهيار الحضارة الرومانية لها ٠

وهناك بالنسبة للمسلمين فى هذا المجـــال أمران هامان :

الأول : تلك المحاولة الدائبـــة لاحتوائنا فى هذه

الحضارة بالدعوة الى ضرورة قبول الحضارة مع العلوم التجريبية وهذه محاولة ظالمة ، ذلك لأن الأمم لا تتقبل الا الجانب المدنى من الحضارة وهو القسم الخاص بالتقدم العلمى أما بالنسبة للقيم والاخلاقيات وأسلوب العيش فهذا مرتبط فى كل أمة بعقيدتها ، والغرب نفسه عندما أخذ الحضارة الاسلامية والمنهج العلمى التجريبى لم يقبل أسلوب الحضارة الاسلامية وحول ما نقل من الحضارة الى بوتقته وشكله داخل مفاهيمه التى استمدها من حضارة الرومان القائمة على العبودية والرق واستعلاء عناصر القيادة والسادة ٠

الثانى : تلك الدعوى الباطلة التى تقول بان هناك حضارة عالمية واحدة وان الحضارة الاسلامية هى مرحلة منها ، وهذا قول مردود فان الحضارة الاسلامية قدمت للبشرية منهجا فكريا واجتماعيا يقوم على تحرير الانسان من عبودية الانسان ويكرم العنصر الانسانى ويكرم العقل ويحرر الانسان من عبادة الأوثان ومن الخضوع لغير الله تبارك وتعالى ومن هنا فان الحضارة الاسلامية تقوم على أسس مختلفة عن الأسس التى قامت عليها الحضارة الرومانية ووريثتها الحضارة الغربية المعاصرة ٠

والمسلمون فى نهضتهم يعيدون بناء حضارتهم على أساسها الربانى الأصيل ومن حقهم أن يأخذوا أصول العلوم التجريبية المستحدثة على أن يشكلوها فى دائرة

فكرهم ومفاهيمهم وقيمهم التى تختلف مع وجهة الحضارة الغربية من حيث تكريمها للانسان بوصفه انسانا جامعا بين العقل والقلب والمادة والروح والدنيا والآخرة على قاعدة الالتزام بالأخلاق والمسئولية الفردية الجزاء الأخروى والبعد الرباني الذى هو مصدر كل نهضة وغايتها فى نفس الوقت ٠

ويختلف مفهوم الاسلام للحضارة عن مفهوم الحضارة الغربية فى عدة عناصر أساسية ٠

١ ـ أبرزها قيام الحضارة الغربية على الربا ونسبية الأخلاق والتطور المطلق بينما يقيم الاسلام حضارته على الأخلاق الثابتة باعتبارها جزءا من الدين لاينفك عنه وقد رفض الربا ٠ رفضا تاما مع الايمان بالتطور فى اطار جوهر الثبات ٠

٢ ـ للاسلام موقفه من المرأة وعملها واختلاطها وارتباطها بالمجتمع وله موقفه من مفاهيم الترف والرفاهية واللباس والزى ومن التفرقة بين رجولة الرجل وأنوثة المرأة ، ومن تعرية الجسم وستره ومن مختلف قضايا الخمر والميسر والاباحية ٠

٣ ـ الاسلام يرفض الجوانب القائمة على وثنية الترف والتحلل ٠

٤ ـ الاســلام لايقبل تأويــل النصوص أو تبرير أخطاء الحضارة فى وضعها الحالى ذلك لأنه لايقر الواقع الفاسد ولكنه يطالب الحضارة بأن تعدل نفسها لتتفق مع قيم الدين وتتحرك فى اطاره ·

احياء التراث الوثنى القديم

كان من أخطر محاولات قوى النفوذ الأجنبية العمل على احياء التراث الوثنى القديم السابق للاسلام والمعارض لمفاهيم التوحيد الخالص ويتركز أغلبه فى الفكر الباطنى والغنوصى المتمثل فى وحدة الوجود والحلول والاتحاد والتناسخ والاشراق وغيرها من الأفكار الهدامة التى جاء الدين الحق المنزل للقضاء عليها والكشف عن فسادها وزيفها . وتتمثل فكرة احياء التراث الوثنى القديم فى التركيز على مفهوم (الوثنية) التى جاءت الأديان لمحاربتها وتتلخص الوثنية فى عبادة المحسوس المشخص وعبادته تنطوى على تعدد المعبود وقد عبدت الجماعات الوثنية مافى الطبيعة من أنهار وجبال ، وأفلاك وكواكب وقد هاجم الاسلام تعدد الالهة وحطم الوثنية ودعا الى عبادة الله جل جلاله الواحد بل هاجم الاسلام الشرك الذى وقع فيه أهل الجزيرة العربية (حين قالوا عن الأصنام

« **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** » ودعا الاسلام في مواجهة الوثنية الى التوحيد الخالص المبرأ من كل شرك أو شبهة ويقدم للمسلين صور الوثنية في أساليب جديدة في مجال الفنون والآداب باحياء القصص الوثنى الذى عرفته بيئات اليونان والفرس وغيرها ، حيث تعددت الالهة فللحصاد الة وللربيع اله وللحرب اله ٠

١ ـ والدهرية : واحدة من الدعوات الهدامة التى أذاعها النفوذ الأجنبى فى البلاد الاسلامية كوسيلة من وسائل تدمير مقومات الاسلام وقيمه الأساسية فقد كان من أبرز أهداف الاستعمار : القضاء على القوة الأصيلة التى قام عليها الاسلام وهى التوحيد فنشر فى كل مكان حل فيه مفاهيم (المادية)والدعوة الى القول بمعارضة وجود الخالق وأن الكون طبيعى وجد اعتباطا ، وقد عرف هذا المذهب بالتشيرية (نسبة الى مصطلح nather (الطبيعة) وقد برزت هذه الدعوة بصورة خطيرة فى الهند ، نشرها الاستعمار البريطانى بين المسلمين وتنبه لها السيد جمال الدين الافغانى فوضع رسالته المعروفة (الرد على الدهريين) وقد صور هدف الدعوة حين قال : النيتشر اسم الطبيعة وطريقة النيتشر هى تلك الطريقة الدهرية التى ظهرت فى بلاد اليونان فى القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح ، ومقصد أرباب هذه الطريقة هو محو الأديان ووضع أساس الاباحة والاشتراك فى الأموال والانطباع بين الناس عامة وقد كدحوا لاجراء مقصدهم

هذا وبالغوا فى السعى اليه وتلونوا لذلك فى ألوان مختلفة ، وتقلبوا فى مظاهر متعددة ، وكيفما وجدوا فى أمة أفسدوا أخلاقها وعاد عليهم سعيهم بالوبال ٠

وايما ذاهب ذهب فى عوز مقاصد الآخرين بهذه الطريقة تجلى له ان لانتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية وانتقاص بناء الهيئة الاجتماعية الانسانية ، اذ لاريب فى ان الدين مطلقا هو مسلك النظام الاجتماعى ولن يستحكم أساس للتمدن بدون الدين البتة ، أما عدم شيوع هذه **الطريقة وقلة سلاكها مع طول الزمن على نشأتها فسببه ان نظام الألفة الانسانية ـ وهو من آثار الحكمة الالهية السامية ـ كانت له الغلبة على أصولها الواهية وشريعتها الفاسدة وبهذا السر الالهى انبعثت نفوس البشر لمحو ماظهر منها ومن هذا لم يسبق لها ثبات قدم ولم تقم لهم قائمة أمر ، ولا فى وقت من الأوقات » أ هـ ٠**

وقد أشار العلامة صلاح الدين السلجوقى فى كتابه (أضواء على ميادين الفلسفة والعلم ٠٠) الى صلاحية اطلاق اسم (الدهريين) على هذه الجماعات المختلفة من هنكرى البعث فى الآخرة كما جاءت بها الأديان السماوية وان هؤلاء الدهريين هم عشرة مذاهب : الابيقورية ، الارتقائية ، المزدكية ، الباطنية ، أتباع فولتير ، وجان جاك روسو ، المورمون ، النفعيون ، المدلسون ، الماديون) ٠

يقول : ولما كان الهنود يطلقون كلمة (نيتشرى)

على جميع المنحرفين عن طريق الحق فليس بعيـــدا أن نترجمها بلفظ (الدهرى) .

وقال : ان الدهرية عبـــارة عن حكومة الغرائز والعقد النفسية وتشاء الدهرية أن يعم الذل والهـــوان والخوف والارهاب والتفرقة والكراهية ، وقد أشـــار السيد جمال الدين الأفغانى فى رسالته الى ان الدهرية هى مركز الرذائـل والذل والهوان ومصــــدر الفوضى والفســاد والهمجية وموجب لسقوط الفـرد والمجتمع ، بعد أن سرد تاريخ نهوض الأمم بايمانهــا وكيانها الذاتى وسقوطها بنفوذ الدهريين غير المؤمنين بالله وبانفسهم — قال : ان طائفة النتشريين (الدهريين) كلما نجحت فى أمه أفسدت أخلاقها وأوقعت الخلل فى عقولهــا وتخطفت قلوب آحادها بانواع من الحيل والوان من التلبيس حتى تصبح تلك الأمة وقد وهى أساسها وتفطر بنـــاؤها ، واغتالتها رذائل الأخــلاق من الأثرة وعبـادة الشـهوات والجرأة على ارتكاب الخيانات ، ولايزال الفساد يتغلغل فى أحشائهــا حتى تضمحل ويمحى اســـمها من صفحة الوجود أو تضرب عليها الذلة أو يخلد أبناؤها فى الفقر والعبودية » .

أما أبرز مفاهيم الدهرية فهى :

أولا : انكار الخالق وان الكون بلا اله ولا صانع .

ثانيا : قولهم اله الدهر قديم

● ● ●

وكانت هذه الطائفة قد ظهرت فى القرن الرابع الهجرى وتحطمت تحت ضربات معاول التصحيح الذى قام به الأئمة ، وقد جهدت قوى الغزو الفكرى فى العصر الحديث لأحيائها ومنها تولدت دعوات القاديانية والبهائية .

● ● ●

وهناك محاولة احياء الباطنية القديمة لاداء نفس الدور الذى قامت به الدهرية والمعروف أن الباطنية القديمة وضع جذورها يهودى قديم مشهور هو عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء الذى كان يقول بما تقول به النظريات الباطنية القديمة بحلول الاله فى بعض عباده ورجعتهم بعد موتهم الظاهرى ، ومن ابن سبأ تشعبت فرق الغلاة كما يقول البغدادى فى كتابه (الفرق بين الفرق) ثم تبلورت الأفكار الباطنية فى القرن الرابع على أيدى فلول المجوسية المنهزمة وتشعبت الى فرق متعددة تربطها غاية واحدة هى القضاء على الاسلام وشريعته الخالدة .

وقد كان ضرر الباطنية على الاسلام أكبر من ضرر أعدائه الصرحاء وذلك ان الباطنيين أباحوا لاتباعهم جملة من الملذات والشهوات وأسقطوا عنهم فرائض العبادات كما أباحوا لهم تأويل الشريعة .

وقد أعيد طرح هذه المفاهيم مرة أخــرى فى أفق الفكر الاسلامى ابان سيطرة النفوذ الأجنبى على الثقافة واعادة انبعاث هذه الأفكار بعد ان كشف علماء المسلمين زيفها وفسادها ٠

وتتركز فكرة الباطنيـــة فى القول بـأن للقرآن والأحاديث ظواهر وبواطن ، ومن هنـــا أنشأوا مفاهيم مسمومة خارجة عن مفهوم اللغة والشريعة نفسها لكثير من المصطلحات الاسلامية بهدف ضربها فى الصميم ٠

وتأسست مفاهيم الباطنية على الفلسفة اللاهوتيـة اليونانية التى هى (علم الأصنام) واستخدموا مصطلحات الفلســـفة الهلينية وأفكارها وعقائدها فى أدبهم وشرح عقيدتهم ٠

وقد حرص دعاة الباطنيـة على اغـراء الناس بما يحبونه ، والتحدث اليهم عن طريق رغباتهــم ومطامعهم (على حد قول الدكتور زاهد على فيما نقله عنه الســيد أبو الحسن الندوى) وهى نفس المفاهيم التى طبقها من بعد دعاة القرامطة ٠

وقد حاولت الباطنية أن تفســد مفاهيم المصطلحات الاسلامية الأساسية التى جـاء بهـا القرآن والتى يتفق المسلمون على معانيها : كالنبوة والرسالة والملائكة والميعاد والجنة والنار والشريعة والفرض والواجب والحــلال

والحرام والصوم والزكاة والحج وابتدعوا لكل مصطلح منها مفهوما مخالفا للحقائق الأساسية التى تعبر عنها هذه الكلمات ٠

وقد وصف الأستاذ الندوى الدعوة الباطنية بانها ثورة على النبوة المحمدية وذلك لانكارها المفاهيم الدينية التى توارثتها الأمة وتفسير الكلمات الشرعية والمصطلحات الدينية حسب الاهواء والأغراض والفصل بين الظاهر والباطن ٠

وقد جمعت هذه الدعوات المنافقين والملحدين ، وطلاب المغانم والملذات ومن هذه الدعوة القديمة انطلقت الدعوات الجديدة :

البهائية ـ الثيوصوفية ، الدهرية ، الروحية الحديثة ، الزفانا ، اليوجا الخ وكلها تعمل على تأويل الكلمات الشرعية المتواترة تأويلا لا يقوم على أصول اللغة والقياس والمنطق ويتجه الى انكار الحقائق الغيبية ٠

وغاية الدعوة الباطنية (١) الالحاد فى العقيدة (٢) الغاء الالتزام الأخلاقى(٣) الغاء المسئولية الفردية المؤدية الى الجزاء فى الآخرة ٠

ولاتزال الدعوة الى التأويل أو علم الباطن من أخطر الدعوات الهدامة التى تواجه المسلمين فى العصر الحديث وغايتها رفع التكليف والقضاء على الضوابط ومعارضة حدود الله ودفع الناس الى الشهوات والملذات ٠

● ● ●

مفاهيم الفلسفة المادية (٢) المعارضة للتوحيد الخالص :

جرت المحاولات لضرب مفاهيم التوحيد الخالص الذى جاء به الاسلام باحياء مفاهيم وثنية قديمة ، مستمدة من الفكر التلمـودى والغنوصي والهلينى التى تقدم تفسيرا مضطربا زائفا للذات الالهية يختلط فيه الحق تبارك وتعالى بالكون المخلوق له وهو ما يسمى وحدة الوجود أو الحلول والاتحـاد ٠

ولا ريب ان أخطر ما تحمله فكرة وحدة الوجود من مخالفة لمفهوم العقيدة الاسلامية : عقيدة التوحيد الخالص التى أنزل الله تبارك وتعالى بها رسله وكتبـه ، هو أنها تقول بتأليه المخلوقات واعتبار الكون هو الله ، بينما يفرق الاسلام بين الله (تبارك وتعالى) الخالق الذى ليس كمثله شيء وبين الكون المخلوق ، فالاسـلام يقرر أن الوجود اثنان : واجب الوجود وممكن الوجود ، فواجب الوجود هو صانعه الواحد الفرد الصمد ، وممكن الوجود هو هذه الكائنات التى ندركهـا بحواسـنا الخمس مباشرة ، أما أصـحاب مذهب وحدة الوجود ٠ فيقولون ان كليهما واحـد ومعنى ذلك أن الكون هو الله ، وهو مفهـوم غير أصيل فى الفكر الاسلامى ومستمد من فلسفات أخـرى خرجت على مفهوم التوحيـد الخالص الذى أنزل الله به الأديان والرسل جميعا ، والذى استبان على أكمل وجه فى الاسلام وكتابه القـرآن كذلك فقد أنكر الاسـلام عقيدة

الاتحـــاد والحلول ، وأنـكر حلول الخالق في المخلوق أو استغراق المخلوق في الخالق ، وهو يميز طبيعة كل منهما ، ولا يقبل الاسلام وحدة الوجود لأن فيها انتقالا من عقيدته الأصلية :

(لا اله الا الله) الى ما يقوله بعض الفلاســـــفة (لا موجود في الحقيقة الا الله) وسياق كل منهما ينتهى الى نتائج مختلفة أشد الاختلاف عن النتائج الأخرى ٠

والمعروف ان نظرية وحدة الوجود هى فكرة ترددت أول الأمر فى الفلسفة اليونانية وهى تتعارض مع الفطرة التى جاء بها الاسلام حاثا اتباعه على التفكير فى خلق الله ، ناهيا عن التفكير فى ذات الله ، مقررا أن الوجود أو الكون لايمكن أن يكون موجودا بنفســـه ولاريب ان كثيرا من الباحثين دون هدى من معطيات الوحى والرسالات المنزلة قد جروا أشواطا طويلة وراء الحقائق الكونية فلم يهتدوا وكانت غايتهم فى ادراك الله تبارك وتعالى ، وادراك ما وراء الطبيعة بالحواس القاصرة ، وبالعقل البشرى المحدود ، غير مقدرين أن هذه الآدوات من حس وعقل هى فى ذاتها قاصرة عن الوصـــول بهم الى هذه الغـاية الكبرى التى لاتتحقق الا عن طريق الايمان برسالة الله ووحيه ، الذى أنزله الى أنبيائه والتى تكفل للانســان الطمأنينة التامة فى هذا المجال وتغنيه عن هذه المحاولات التى لا تنتهى الى شيء ما ٠

والقول بأن الله هو الكون انمـــا يمثل فهما ماديا خالصا لذات الله تبـــارك وتعالى يتعارض مع العقل ومع الفطرة ومع ما أودعه الله في رسالة الدين الحق الموحى به الذى أراد به سبحانه ان يطامن النفس الانسانية فى هذا المجال حتى لاتكون فى حاجة الى البحث الذى لن تصل به الى شيء وان يفسح لها طريق التأمل والفكر فى المجـال الآخر ، مجال العمران ، واكتشاف أسرار المادة وما أودعه فى الأرض والماء والجبـال من معطيات وكنـــوز وهبهـا للانسان وحرضـــه على البحث عنها واستخلاصها وذلك حسبما صوره الرسول الكريم :

« تفـكروا فى خلق الله ولا تفـكروا فى ذات الله فتهلكوا » .

ان أخطر ما تصل اليه نظرية وحدة الوجود من أن دعوى القول بأن الكون هو الله : هو اسـقاط التكليف وتدمير المســئولية الفردية والالتزام الأخلاقى ، فحيث ان مذهب وحدة الوجود فى ذاته لا يتفق مع الدين الحق المنزل الذى يقول بالتفرقة التـامة بين الله والعـــالم ، ولا يتفق مع العقل السـليم الذى لا يقبل أن يكون الله (جل فى علاه) هو العالم بما فيه من حيوان وجمـــاد فان القـــول بوحدة الوجود يهدد قيمة كبرى من قيم الاسلام : هى الأخلاق ، فالقول بوحدة الوجود يتعارض مع قاعدة (أخلاقيــة الحياة) التى تقوم على أساس متين

فما دام الله « تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا » وقد اتخذ الانسان مظهرا له فكيف يستقيم أن يكون هذا الانسان نفسه هو المسئول عن نتائج عمله ٠

ومن هنا تظهر تلك الدعوة الخطيرة التى تستهدف معارضة الاسلام فى صميم أصوله وهى اسقاط التكليف أو اباحة ما حرم الله ، أو تجاوز حدود الله ولا شك أن أقوال القائلين بوحدة الوجود تخالف مخالفة أكيدة عقائد الاسلام القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ٠

ونحن فى حاجة الى أن ننبه الى أخطاء المصطلحات التى تقول : (الكل فى واحد والواحد فى الكل) أو القول (لا موجود الا الله وان جميع الممكنات مظاهر له) فهذا كله يتعارض تعارضا كاملا مع التوحيد كما جاء به القرآن الكريم وكما فهمه المسلمون ٠

واذا كانت فكرة وحدة الوجود تعارض الوحى والعقل والفطرة جميعا فان عددا من الفلاسفة اعتبروها كذلك ، حتى قال شوبنهور ٠

ان وحدة الوجود ليست الا صورة مهذبة لمذهب الالحاد لأن حقيقة مذهب الوجود تنحصر فى أنه يهدم التعارض الثنائى الموجود بين الله والكون وأنه يقرر أن الكون موجود بفضل قواه الباطنة الخاصة به ، **فالمبدأ الذى يقول به أصحاب وحدة الوجود من أن الله والكون شىء واحد ، انما هو وسيلة مهذبة للاستغناء عن الله أو تعطيل عمله ٠**

والمعروف أن الفلاســفة اليونان من لدن طاليس أول فلاسفتهم الى أرسطو يقولون باندماج الله فى العالم أو العالم فى الله ٠

ويقرر العلماء الأصوليون : أن انفصال الله عن الكون هو النظرة البديهية التى تحل أكبر مشــكلات الوجود ، وبها نضبط تقدمنا البشرى وتحدد المسئوليات والتبعات ، ولا تختلط الحدود ولا تســقط التكليفات ولا تهدر قيم الأشياء (وذلك على حد تعبير الأستاذ عبدالمنعم خلاف) ويقرر واحد من كتاب المسيحية هو نقولا حداد : أن الأديان السماوية الثلاثة ترفض هذه النظرية الفلسفية رفضــا تاماً وهى مجمعة على أن الله والوجود المادى شيئان مختلفان وان لكل منهما ذاتية قائمــة بذاتها منفصــلة عن الأخـرى وان الله (تبــارك وتعــالى) خالق الوجود ومسيره ٠

ويقول الدكتور محمد يوسف موسى : الله والعالم متباينان فى كل شىء ، ومنفصلان تمام الانفصــال ، أحدهما وجوده رهن بارادة الآخرة ٠

ودعا بعض الباحثين : الى التفرقة بين وجــود الله ووجود الكون فان وجود الله تبارك وتعالى هو وجود أزلى لا بداية له ولا نهاية ، ووجود العوالم وجود حـادث له بداية ونهاية ، وعلينا أن نسلم بأن وجود العـوالم

مسبب من الله تعـــالى وفرق بين السبب والمسـبب والعلة والمعلول ٠

● ● ●

ويختلف مفهوم الحلول عن مفهوم وحدة الوجـــود فحيث يقول مذهب وحدة الوجود بالوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها فى الظاهر (وهو زيف لا يقره الاسلام ، فـان مذهب الحلول يقول بوجـــود حقيقتين مختلفتين : هما الالهية والبشرية وقيـام الأولى بالثانيـة تحت ظروف خاصة ٠

ويرى (لويس ماسنيون) أن الحلول له طابع مسيحى وله أصول يونانية وهندية وأنه مهدم لوحدة الله حسب رأى القرآن ، ويقول الامام الغزالى :

ان الحلول لا يمكن تصوره بين عبدين فكيف يمكن تصوره بين الرب والعبد ، ولئن سلم أحد بامكان ذلك الى نفس واحدة فكيف يسـلم به لجميع النفوس وعندئذ يصبح العالم كله آلهه ٠

ويقول : فمن المحال اذن أن يحل الله فى النفس وأن ينطبع فيها انطباع الخمر فى اللبن فان ذلك من صفات الأجسام ٠

ويقرر العلماء : أن الله واجب الوجود منزه عن

صفات الحلول وأن الحلول محال على الله تعالى لأسباب كثيرة ، ذلك لأن القديم يختلف عن الحادث لاختلاف الماهية فى كل منهما ، وهذا الاختلاف يوجب استحالة حلول القديم فى الحادث ٠

(ويقول محمود البشبيشى) « ثم أن الله واجب الوجود وهذا الوصف ينفى الحلول لأنه فى حالة حلوله يصبح الحال تابعا لما حل فيه ، كما يصبح معلولا لهذا المحل ومتأثرا به ، بل أنه ليصبح فى غير الامكان تصور الحال الا بتصوز المحل ، اذن ينتفى الحلول فى هذه المرة ، كما استحال فى الأولى ثم ان الله واجب الوجود والواجب ليس عرضا وليس جوهرا فاذا كان الحلول حلول عرض فى جوهر فلا يمكن بالنسبة لله تعالى ، لأنه ليس بعرض واذا كان حلول جوهر فلا يمكن أيضا لأن الله تعالى ليس بجوهر » ٠

ولا ريب أن كتابات الحلول ووحدة الوجود وغيرهما هى كتابات عصور الضعف والتخلف وقد كانت من أهم ما التفت اليه المستشرقون وحاولوا احياءه واذاعته وذلك لخلق منطلق لدعوات الاباحة المستحدثة وخاصة الوجودية والفرويدية وغيرها ، ومحاولة لتحطيم قانون أصيل هو « البعث والجزاء » وكذلك لترديد الدعوة الى اسقاط التكليف والالتزامات وحدود الله ولدفع

المسلمين خارج قيمهم الأساسية وتدمير مقوماتهم النفسية في الاندفاع نحو الترف والانحلال والفساد والشهوات، عن طريق اعلاء الغرائز أو الانسحاب من الحياة كالرهبانية ومعارضة مبدأ الزواج وتكوين الأسرة والزهادة فى بناء الحياة ومجاهدة أهواء المجتمعات وليست فكرة الاتحــاد بأكثر من فكرتى وحدة الوجود والحلول اضطرابا وفسادا ذلك لأن قول القائل : ان العبد صار هو الرب كلام يتناقض مع نفسه ، بل ينبغى أن ينزه الرب ســـبحانه أن يجرى اللسان فى حقه بأمثال هذه المحاولات وطريق البرهنـــة على فساد ذلك يورده الامام الغزالى فى ثلاثة احتمالات ٠

أولا : اما أن تظل كل ذات من الذاتين موجودة ٠

ثانيا : اما أن تفنى احداهما وتبقى الأخرى ٠

ثالثا : اما أن يفنيا معا ٠

وفى الحالة الأولى : لا يكون هناك اتحـــاد ، وفى الثانية كيف يمكن الزعم بأن هناك اتحادا بين موجـــود ومعدوم وفى الثالثة : لا يكون هنـــاك محل للحديث عن الاتحاد بل الأولى أن نتكلم عن الانعدام ، فالتناقض واضح فى جميع الاحتمالات ، وكما تنزه الله تبـــارك وتعالى عن الحلول فهو منزه عن الاتحاد ، لأنه لو حدث أن أتحد واجب الوجود بغيره نتج عن ذلك حالتان : اما أن يبقيا موجودين معا ، واما أن يدركهما العدم معا ويخرج منهما ثالث ، أو

يدرك العدم أحدهما ويبقى الآخر ففى بقائهما موجودين فهما اذا فى هذه الحالة اثنان متمايزان متباينان وهـذا التمايز ينافى الاتحاد ، لأن الاتحاد يلزم أن يصبحا واحدا وفى عدمهما معا يبطل الاتحاد لأن المعدوم لايتخذ بمعدوم.

وفى حالة عدم أحدهما فقط فان الاتحاد لم يتحقق أصلا .

وهناك من النظريات المسمومة المعارضة للتوحيد الخالص فكرة التناسخ وهى نظرية تتعارض مع مفهوم الفطرة والعقل والدين وهى لا تطابق الحقيقة الثابتة عن مسئولية الانسان والتزامه الأخلاقى ، فضلا عن سذاجة النظرة التى تقول بها وتحاول أن تبررها وهى أن انتقالها من بدن الى بدن انما هو وسيلة لمنح الروح فرصة بعد فرصة لكى تتطهر من أدرانها ، وتوحى المذاهب الفلسفية القائلة بالتناسخ بأن الحياة ما دامت قصيرة فلابد من ايجاد فرصة وثانية وثالثة للروح حتى تتحرر من أخطائها وفى الهندوسية ان الروح لا تحاسب بعد حياتها الأولى مباشرة .

ونظرية التناسخ تعارض المسئولية الفردية التى تناط بكل انسان بحسب عمله فى الدنيا ، فكيف بالروح التى تتعاورها نفوس كثيرة ، كيف يمكن تحديد جزاء كل انسان منهم ، فاذا كانت الأرواح تتناسخ مع الحيوان أيضا فان الأمر يصبح أكثر اضطرابا .

ومما يورده الدارســـون : أن فيثـاغورس يرى تناسخ الأرواح من الانســـان والحيوان بمعنى أن روح الانسان قد تصبح روحا لكلب أو ثعلب مثلا وهو تصور غريب .

وفى هـــذا المعنى يقول الدكتور يحيى هويدى : « كيف تستطيع النفس أن تنتقل من جسم الى جسم ومن كائن الى كائن ، ان هـــذا الانتقال يفرض أولا احتفاظ النفس بفردانيتها وانها هى التى تنتقل من هذا الكائن الى الآخر وتعترض ثانيا : عدم تعلق النفس بجســـم معين ، وهـــذا تناقض ، لأننا نعلم ان مصـــدر وحدة الانسان : هى النفس فالنفس هى التى تبقى الانسان على شخصيته ووحدته وهويته ، وتجعله هو هذا الانسان باعتباره مكونا من هذه النفس المعينة وذلك الجسم المعين فكيف يعترف القائلون بالتناســـخ بفردانيـة النفس وبهويتها الخاصة ولا يؤدى ذلك الى اعترافهم بهـــوية الأجسام باعتبارها مكونة من نفس وجسم » .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان فكرة التناسخ تقوم على قياس زمنى خاطىء ، فهو يقول أن الفرصـــة التى تعطى للانسان فى حيـــاته الأولى فرصـة ضيقة جدا اذا قسناها بالزمن اللانهائى للأبدية التى ستعيش فيه النفس بعد ذلك ، من أجـل ذلك فعلينـا أن نطيل هذه الفرصة فى فترات متعاقبة لكى تكون متناسبة مع الزمن اللانهائى للأبدية ، التى ستعيش فيها النفس بعد مفارقتها

جسدها الأول ،وتلك فكرة قائمة على وهم خاطىء اذ مهما أطلت فى المدة السابقة على فناء النفس فناءها الأخير ومهما تراكمت فى ذلك السنون وتعاقبت الأدوار فان هذا كله لن يكون شيئا بالقياس الى الأبدية التى تكون فيها النفس بعد الموت ، فأولى أن نجعل لتلك النفس حياة واحدة من أن نجعل لها حيوات متعاقبة تقاسى فى كل منها الأهوال ٠

وقد رفض الاسلام فكرة التناسخ كلية كما رفض العودة الى الحياة مرة أخرى فى الدنيا بنصوص قاطعة فى القرآن الكريم :

« حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون » (المؤمنون / ٩٩ ـ ١٠٠) ٠

كما قرر خلود النفس خلودا نهائيا بعد حياتها الأولى المرتبطة بجسم معين ، ولا شك ان موقف الاسلام من خلود النفس وبعث الأجساد هو أظهر منطق للمسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى بالحساب والجزاء فى اليوم الآخر ٠

ويمـــكن أن نلاحظ هنــا أن أول من قال بتناســخ الأرواح بعد الاسلام (السبئية) أصحاب عبد الله بن سبأ اليهودى المسمى بابن السوداء وصاحب المؤامرة الخطيرة وذلك فى مؤامرة لتزييف المفاهيم الأســـاسية القائمة

البهائية والقاديانية

حـــاول بعض المستشرقين القول بأن البهائيـــة والقاديانية من دعوات التجديد الاسلامى فى العصـــر الحديث وذلك فى محاولة لتغطية مظاهر الهدم الواضـحة فى كلتا الدعوتين اللتين ظهرتا فى وقت متقـــارب من القرن التاسع عشر فى ايران والهند ، مستهدفتين ضرب حركة اليقظة الاسلامية وقد نشـأت كلتـا الحركتين فى أحضان النفوذ الأجنبى يهدف القضاء على مفهوم أصيل من مفاهيم الاسلام وفريضة من فرائضه : هى فريضة الجهاد واحلال روح التخاذل ٠

وقد كشفت الأبحاث التاريخية عن علاقة أكيدة بين هاتين الدعوتين وبين الاستعمار والصهيونية والهندوكية وأنهمـا حاولتـــا بث الفتنة وزعزعة العقائـد واثـارة الشبهات والشكوك واضعاف شوكة المسلمين وتثبيـط

عزائمهم ضد النفوذ الأجنبى والكيد للاسلام وتضليل المسلمين عن حقائق عقيدتهم وتفريق وحدتهم ٠

والدارس لنحلة البهائية يجد هذا الهدف واضحا فى مخططها (وتاريخها) كله ، ويجدها واضحة العلاقة بالركام الباطنى القديم مجددة اياه فى أسلوب حديث من ناحية مع الارتباط بالصهيونية التلمودية كثمرة من ثمار البروتوكولات ، ومن هنا كانت دعوتها الى دين بشرى جديد تنصهر فيه كل الأديان السماوية وغيرها ، بعد الحملة عليها والادعاء بأنها كانت مصدر الصراع بين البشر ، وقد كشفت الجذور الباطنية للبهائية منذ وقت قريب عما أفصحت عنه من انتمائها للصهيونية ودعوتها لها قبل قيام الكيان الاسرائيلى فى فلسطين المحتلة ٠

ولقد سلطت أضواء كثيرة حول النحلة البهائية وحاولت أقلام عدد من المستشرقين البارزين وفى مقدمتهم لورنس براون فى كتابه طوائع الاسلام والمستشرق جولد زيهر الذى امتدح الحركة البهائية ووصفها بأنها حركة تجديد فى الفكر الاسلامى وأنها ستؤدى الى تنشيطه وان الذين قاموا بها ثوار أبطال وهكذا يصل التضليل والتزييف الى أعلى مداه ٠

ومن يراجع تاريخ وفكر هذه النحلة يكتشف فى يسر مصدرها وهدفها وأنها واحدة من الدعوات

الهدامة التى أرادت أن تعمل فى داخل محيط الاسلام وان كانت مفاهيمها وقيمها جميعها مستمدة من الفكر البشرى الوثنى المادى المنثور فى الزرادشتية والهندوسية والمجوسية وتراث التلمودية القديم المبثوث فى التلمود والمشنا والجماره ، وأن قوى خطيرة جددت هذا الفكر وحاولت ابتعاثه لخدمة أهداف معاصرة أهمها : دعم الصهيونية والمادية ومحاربة الاسلام فى عقائده وقيمه ومفاهيمه وتزييف لغته وتاريخه واثارة طوابع التحلل واللذة والاباحية والكشف وتدمير المجتمعات الاسلامية والأسرة وافساد العلاقة بين الرجل والمرأة ٠

وتقوم فكرة البهائية أساسا على (التأويل) شأنها فى ذلك شأن الفرق الباطنية القديمة ، وهى تستهدف تأويل آيات القرآن الكريم بما يخرج بها عن مفهومها ومدلولها اللغوى والشرعى بعيدا عن أصول اللغة ومتعارضا مع النواميس والسنن . وذلك بالتحايل على آيات القرآن الكريم وتوجيهها الى غايات تتعارض أساسا مع التوحيد الخالص ٠

ولعل أبرز هذه التأويلات والتشريعات قراءتهم للآية الكريمة « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » بفتح الباء وهذا يعنى أن من أسماء الله (جل شأنه) البهاء الذى لقب به نفسه زعيم الطائفة . تعالى الله عن ذلك التشبيه والحلول ٠

● ● ●

ومن ذلك قول البهائية بتطور الشريعة الاسـلامية وانها لا تصلح لهذا الزمان ، واستهدافها اقرار القوانين الوضعية ، واقرار الربـا وفصـل الدين عن المجتمع ، وموافقة تفسيرات الأديان السابقة عن الصلب والخطيئة والتثليث ، وألوهية المسيح ومتابعـة اليهود فى منهجهم الربوى وفرض نظام عالمى بوحدة العالم من خلال منطلق الربا ٠

وترمى البهائية بدعواها الى وحدة الأديان واتحاد العالم ، وذلك بصهر الاسلام فى بوتقة الأممية الضـالة والفكر البشرى الوثنى والمادى ، وهم يؤمنون أنهم جاءوا بنسخ الديانات كلها والسخط على القوميات والوطنيات بأجمعها ، يستهدفون من ذلك القضاء على الغاء فريضة الجهاد وابطال روح المقـاومة ، وهم باستهدافهم عـدم العقيدة الاسلامية ، وقد جروا وراء فلسفات باطنيـة وضالة ، مستوحاة من الأفكار الباطنيـة والمجوسـية والتلمودية القديمة ، ويقوم مفهوم التأويل على ما مارسته المشبهة والرافضـة والكرامية والحشوية ، وهى نحل حاولت فى تاريخها أن تشبه الله (جل وعلا علوا كبيرا) بخلقه كمحاولة لزعزعة ايمان المسلمين ٠

وفيما تدعو اليه البهائية من عالمية الأديان تستمد مفاهيمها من التوراه والتلمود ولذلك وجدت البهائيـة هوى لدى اليهود الذين ظاهروها مدعين أن رسالة البهائية

نابعة من التوراة وانها دعوة الهية موحى بها الى البهــاء وان التوراة أشارت الى دعوته ، وقد حرم البهائيون الجهاد على اتباعهم مساندة للوجود الاستعمارى وحلل البهائيون الربا بايعاز من اليهود وبين البهاء أن أرباحه حلال ، وبهذا أعطى اليهود فرصة ممارسة الربا علانية ، وقد وصــف أحد الباحثين : البائهيين بأنهـم مجوس القرن العشرين ، وهى امتداد طبيعى للماسونية ، تمثل طائفة مرتدة عن الاسلام ولا يحق لمسلم ولا مسلمة أن يندرج بين أهلها ٠

وقد تركز البهائيون فى سالونيك حيث توجــد جماعة الدونمة (الطائفة اليهـودية المرتدة) والمحــافل الماسونية ومن تركيا اتجه البهائيون الى فلســطين بايعاز من اليهود فاستوطنوا عكا وحيفا لتعضيد الوجود اليهودى بالأرض المقدسة واتخذوا شعار الماسونية (حرية ـ اخاء ـ مساواة) وقد ظهرت البهائية لتقويض أركـان الوجــود العربى فى فلسطين رغم أنها تردد شعار الاسلام ، ومات بهاء الله عام ١٨٩٢ فخلفه فى الزعامة عباس أفندى الملقب بعبد البهاء فطور الآراء التى ورثها عن سلفه واقحم مبادىء جديدة استوحاها من التـوراة (العهد القديم) وأدخلهـا ضمن العقيدة البهائية كما فعلت الصهيونية من قبل ، وكان مقيما فى حيفا ، وكان عبد البهاء ماجنا مفرطا فى مجونه ، فقد كان يدعو خلال رحلته الى أوربا وأمريكـا بأن أساس دعوته التحرر من كل قيد حتى العرى فانه مباح

لدى البهائيين وكان يثق بالأفكار المجوســـية ، ويندد بدعوة الأنبياء أو يصفهم بأنهم أصحاب أوهام وخرافات أفسدت عقائد الشرق ٠

وكان يقول ان البعث الذى يراد به احياء الأجساد بعد الموت انما هو بعث فكرى وتجديد فى حياتنا الراهنة ، وقد أعطته الحكومة الانجليزية لقب (سير) شكرا له على ما أبداه من الكرم والاكرام للجنـــود البريطانيين فى فلسطين فترة الحرب العالميـــة الأولى وقد احتفل بدفنه سير هربرت صمويل المندوب السامى البريطانى لفلسطين واليهودى الأصل ٠

ومن اخطر دعوات البهائية دعوتهم الى الخـــداع والتمويه فهم يدعون أتباعهم الى ان يصلوا مع المسلمين فى المساجد ومع المسيحيين فى الكنائس ومع اليهـود فى الكنيس ، وأن يكون أحدهم مسلما مع المسلمين وملحدا مع الملحدين ٠

وقد أعلن زعماء البهائيين أن لليهود حقا فى فلسطين ودعوا الى نصرة الصهيونية العالمية واتجه زعماء البهائية الى التراث اليهودى واحتضنوه وذلك بمعنى أن الصهيونية احتوتهم وجعلتهم من خدامها ٠

ومما أثر عن عباس عبد البهاء قوله : **الله يدعو جميع المسلمين والنصارى واليهـود على نواميس موسى عليـــه**

السلام (أى أنه يريد تهويد المسلمين والنصارى وان يجعل اليهودية هى الدين السائد فى الأرض وبذلك يكون السلطان فى العالم كله لليهود وحدهم ، والمعروف انه عندما دخل الانجليز عكا عام ١٩١٨ بعد اجلاء الدولة العثمانية من فلسطين بادر قائد الحامية البريطانية بزيارة عبد البهاء الذى أيد فتوحات الانجليز للبلاد العربية وأبدى استعداده لتقديم ما يلزم بريطانيا من خدمات ، ثم قدم له وساما بريطانيا من درجة (فارس) من ملك بريطانيا لقاء خدماته ٠

والمعروف أن البهائية وليدة حركة سبقتها وقدمت لها هى الحركة البابية التى أسسها (الميرزا حسين على المازندرانى) فى ايران وقد كان الباب هو همزة الوصل بين البابيين وبين الحكومة الروسية القيصرية التى انتزعت مملكة القوقاز من الدولة الايرانية وقد رأت الحكومة الروسية من أجل تنفيذ أغراضها فى ايران تقوية البابية فأخذت تساعدهم فى بلادهم ٠

وقد استغلت اليهودية العالمية كل حركة تؤدى الى تمزيق الأديان وملاشاة وجودها ، ولذلك فانها سرعان ما ضمت العناصر اليهودية الى صفوف الحركة البهائية بصورة جماعية فى طهران وهمزان وكاشان وتوجيهها الى الأغراض اليهودية ومن هنا جاء تقدير (لورنس براون) للحركة البابية والبهائية وليدتها ، والنظر اليها على انها محررة للفكر الاسلامى وأن قادتها ثوار أبطال ٠

وقد جرى التعـاون بين الانجليز والروس واليهود لانقاذ حياة البهاء الميرزا حسين على واخراجه من الهند ثم من بغداد الى تركيـا وأخيرا الى عكا حيث أعدوا المؤامرة الكبرى باعلان الميرزا نفسه **(ربا للجنود ومسيحا جاء لهداية العالم)** والدعوة الى التجمع الصهيونى واعتبـار قيام اسرائيل دليلا من التوراة على صدق مزاعم البابيـة التى سرعان ما أسلمت قيادتهـا للبهائية وما زال المعبـد الرئيسى للبهـائيين قائما فى حيفا يمثل التعاطف بين البهائية والصهيونية ٠

ومن هذه العناصر كلها تتبين مصادر البهائية **وهويتها** الباطنية المجوسية التى اتخذت أسلوب التـأويل مصدرا لتحريف العقيدة السمحاء واخضاعها الى تحريف النص المقدس عن معناه الشرعى الأصـيل ، والعبث بكتاب الله تبارك وتعالى والتهـوين من قداسـة النص القرآنى فى النفوس وتحويله الى مفاهيم سطحية ، **وفى هذا ما فيه من** الجرأة على تفسير النص القرآنى دون ارتباط بالمعـايير الدقيقة : لغوية ودينية مما وضعه علماء السلف الصالح الذين فسروا القرآن ٠

وبالجملة فان البهائية صورة عصرية للفكر الباطنى القديم الذى صوره **الامام الغزالى فى كتابه فضائح الباطنية وهو أنهم دعاة الى التحلل واتباع الشهوات ٠ والسخرية من الذين يحترمون الفرائض والتكاليف الشرعية »** ٠

ولقد وجدت البهـــائية ، مثل كثير من الدعوات الباطنية تقبلا من أصحاب الأهواء . ولكن سرعان ماكشفت الأحداث خبيئتها وعجزها عن أن تكون دينا وعقيدة .

القاديانية

أما القاديانية فقد ظهرت في الهند ابان سيطرة الاستعمار البريطاني بهدف تذليل المسلمين للنفوذ الأجنبي باثارة روح التشكيك والغزو الثقافي ، حيث ادعى غلام أحمد القادياني انه نبي مرسل وقد مكنت بريطانيا له ولأعوانه في أمارة خاصة تسمى (الربوة) داخل باكستان وقدمت منهم من تسنم عليا المناصب السياسية ، ومن ثم تولى كبارهم قيادة الدولة والجيش ، وأصبحوا عاملا خطيرا في مواجهة أهل السنة والجماعة وضرب مفهوم التوحيد الخالص .

وقد كان أبرز ما دعا اليه القادياني : مهاجمة فريضة الجهاد وتبني مبدأ الدفاع عن النفوذ الأجنبي باعتباره الطاعة لأولى الأمر (وهو مفهوم خاطئ) وقد رحبت الهندوسية بالقاديانية ودافعت عنها وكان من أخطر دعاوى القاديانية رأيهم الزائف حين جاءوا بتفسير مبتدع لختم النبوة خالفوا فيه تفسير المسلمين .

الذى يقرر أنه صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين فلا نبي بعده ، أما هم فقد فسروا خاتم النبيين بأن محمدا صلى الله عليه وسلم ، **هو خاتم الأنبياء أى (طابعهم)**

فكل نبى يظهر بعده تكون نبوته مطبوعا عليهم بخـــاتم تصديقه ، صلى الله عليه وسلم ، ويكفرون من خالفهم ، ويكفرون جميع المسلمين الذين لا يؤمنون بكلام القاديانى

وقد ادعى غلام أحمد : أنه أوحى اليـه بما يربو على عشرة آلاف آية وأنه مبعوث بالرسالة بعد محمد (صلوات الله عليه) وان ما ينزل عليه من وحى كالقرآن والتـوراة والانجيل ، وان روح المســيح حلت فيــه ، وان الحج فريضة على المسلمين الى قاديان ، وانها بلده مقدسة كمكة والمدينة وانها المكنى عنها فى القرآن بالمسجد الأقصى ٠

(عن كتاب براهين أحمدية ورسالة التبليغ)

وكان غلام أحمــد القاديانى قد بدأ دعـوته عـام ١٨٨٨ م حيث أسس مدرسة فى قاديان لتعليم أبناء شعبه وأصدر مجلة لنشر مذهبه سماها مجلة (الأديان) وقـد مرت دعوته بعدة مراحل ، كانت أخـراها ادعاؤه النبـوة وانه المسيح المنتظر ٠

وقد قاوم رجال حركة اليقظة الاسلامية هذه الدعوة منذ اليـوم الأول وكشف العالمان البـارزان : المودودى والندوى فساد هذه النحلة وزيف فكرتها المسمومة وأبانا عن حقيقة موقف الاسلام حيث يعتقد المسلمون أن النبى محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين وأنه لا نبى بعده الى يـوم القيامة ، وان القاديانى قد فارق الاجمـاع وخالفه ، حين فسر (خاتم النبيين) بأنه طابعهم وبأن كل

نبوة لا يكون مطبوعا عليها بخاتمة وتصديقه صلى الله عليه وسلم تكون غير صحيحة ، وكشف علماء الاسلام : أن هناك مخالفة تامة بين المسلمين وبين هذه النحلة فى كل شىء : في التوحيد والنبوة وفى القرآن وفى الصوم والحج والزكاة وهو خلاف جوهرى عميق وقد كانت دعوة غلام أحمد الخطيرة التى جعل من ادعاء النبوة مقدمة لها ، هى ابطال شريعة الجهاد والدعوة الى تقبل النفوذ البريطانىالمسيطر على البلاد واعلان الولاء له ، وبذلك تكشف هدف هذه النحلة المبطلة وهو خدمة الحكومة البريطانية ، وكل من يراجع كتابات غلام أحمد فى مؤلفاته ، يجد أسلوبا ساذجا فى الأداء وضالا فى المضمون ، مثل قوله : (اننى صادق كموسى وعيسى وداود ومحمد) و (قد أنزل الله لتصديقى آيات سماوية تربو على عشرة آلاف ، وقد شهد لى القرآن وشهد لى الرسول وان من يخالفنى فهو نصرانى يهودى مشرك من أصحاب النار) ٠

فمثل هذا الكلام لا يقنع أقل الناس ثقافة ولايستطيع أن يرقى لأن يكون فكرا عاليا يمتلك النفوس ويهز الأرواح ، بل انه يكشف عن زيف صاحبه وفساد هدفه ، بل ان غلام أحمد القاديانى قد شهد على نفسه فى كتاباته بأنه تابع وخادم وعميل للحكومة البريطانية حيث يقول فى ختام كتابه : (شهادة القرآن) : **قضيت معظم عمرى فى تأييد الحكومة الانجليزية ومؤازرتها والفت فى منع**

الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه الى بعض لملأ خمسين خزانة ، فقد ظللت منذ حداثة سنى ، وقد ناهزت اليوم الستين ، أجاهد بلسانى وقلمى لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية ولما فيه من خيرها والعطف عليها وأنادى بالغاء فكرة الجهاد التى يدين بها معظم جهالهم ، والتى تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة » ٠

ولقد كشف العلامة المودودى فى كتابه (ما هى القاديانية) فساد دعوى غلام أحمد حين قال : لقد أمدت حركة الميرزا غلام أحمد الحكومة الانجليزية بخير جواسيسها لخدمة مصالحها الاستعمارية ، وقد كانوا أصدقاء أوفياء وكانوا موضع ثقة الحكومة الانجليزية وقد خدموها فى الهند وخارج الهند وبذلوا نفوسهم ودماءهم فى سبيلها بسخاء ٠

وعن الأستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه (القاديانى والقاديانية) ننقل قول غلام أحمد فى آخر كتابه (شهادة القرآن) ٠ أن عقيدتى التى أكررها ان الاسلام جزءين : الجزء الأول اطاعة الله والثانى اطاعة الحكومة التى بسطت الأمن وأوتنا فى ظلها من الظالمين وهى الحكومة البريطانية » ٠

ولما توفى غلام أحمد عام ١٩٠٨ انقسمت الجماعة الضالة الى فرقتين : فأنتخب أتباعه حكم نور الدين ثم أنشأ محمد على اللاهورى جماعة منفصلة فى لاهور بعد أن اتخذت جماعة قاديان ابن غلام أحمد : محمود بشير الدين رئيسا لها ٠

وقد حاولت هذه الجماعة اللاهورية أن تدعى انهـا ليست على ضلال القاديانية وحاولت أن تنكر دعوى نبوة غلام أحمد أو ادعـاؤه النبـوة ونشروا كتبه الأولى وحجبوا كتبه الأخيرة ، فى محاولة خادعة لفتح الطريق لخطتهم الماكرة ٠

ويقرر الأستاذ عبدالحميد السيد أن دعاة القاديانيين اجتمعوا على محاولة استنقاذ الدعوة وكان اختيار اللاهورى لأنه مقرب من رجال الاستعمار البريطانى فى الهنـد وأريد له اصلاح الأمر بعد أن كره المسلمون ما ادعـاه غـلام أحمـد وأنكروه ، وذلك فى محـاولة جديدة لجمع القلوب حول باطلهم . فادعى اللاهورى ان غلام أحمـد لم يكن غير مصلح من المصـلحين ، وانه لم يدع النبوة ، وأعادوا من نشر كتبه ما يتفق مع ذلك ٠ وكان التركيز فى هذه المرحلة العمل على تمزيق كلمة المسـلمين بالتركيز على الدعوة لالغاء الجهاد الاسلامى والادعاء بأن الاسـلام

لم يعد دين جهاد بل صار الآن دين الســـلام وسعوا الى ايجاد السلام بين الاســـلام والمستعمرين ، وفى هـــذه المرحلة اتسع نطاق الدعوة تحت اسم (الاحمدية) ووصل الى بلاد كثيرة كالافغان وغيرها ثم وصل الى قلب افريقيا واتهم خداعا للعامة قد اتخذوا سبيل التقية وعمل اللاهورى الذى يلقبه المسلمون في الهند (عبد الله بن أبى سلول) الثانى تشبها برئيس المنافقين فى عهـد النبى صـــلى الله عليه وسلم ٠

وهو الذى ترجم القرآن الى اللغة الانجليزية وفسره تفسيرا محرفا ، بوضع مفاهيم القاديانية فى داخله ، وزعم ان نحلة القاديانية هى الجنة ٠

فكل من قال لا اله الا الله فهو مكلف شرعا باتباع القاديانى وقد احتوى تفســـيره على كثير من الشبهـــات والسموم ، منها تفسيره الباطل لسورة الفاتحة حين قال: الذين أنعم الله عليهم هم القاديانيـــة والمغضـــوب عليهـــم هم المسلمون وقال ان مريم تزوجت وزوجها يوسف النجار وأنكر ان سيدنا ابراهيم ألقى فى النـــار وادعى بامكان نزول الوحى على غير الأنبياء واعترف فى مقدمة تفسيره أنه اغترفه من فيض القاديانى وقال ان القاديانى هو المسيح وكذلك أنكر معجزة شق القمر ، ولا ريب ان مراجعة ترجمة القرآن التى قدمها محمد على اللاهورى تكشف عن سموم كثيرة معارضة لمفهوم أهل السنة والجماعة وانها حاولت

تقديم فلسفة القاديانية كاملة · وللاهوريين قولان : قول للمسلمين بأنه مصلح وقول لاخوانهم بأنه نبى ·

وقد أشار الفيلسوف المسلم محمد اقبال الى خطر القاديانية حين قال : ان القاديانية مؤامرة مدروسة ترمى الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدةمنافية لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ·

وقد امتد خط القاديانية بطابعها اللاهورى وخدع كثيرا من الناس واتسع نطاقها واستفحل خطرها وخاصة فى باكستان نفسها ، ففزعت الأحزاب والهيئات تطالب الحكومة بجعلها أقلية غير اسلامية وقد صدر فى عام ١٩٧٤ قرار من البرلمان الباكستانى قاضيا باعتبار جميع الفئات القاديانية اقليات غير اسلامية ·

هذا وبالله التوفيق ؟

المراجــع

- القرآن الكريم
- الجامع الصحيح للامام البخارى
- تلبيس ابليس لابن الجوزى ٠
- فضائح الباطنية للامام الغزالى
- الملل والنحل للشهرستانى
- الغاره على العالم الاســلامى – ترجمة السيد محب الدين الخطيب

ومن مؤلفات المؤلف

- الاسلام والدعوات الهدامة
- الشبهات والأخطاء الشائعة
- سموم الاستشراق فى الدراسات الاسلامية
- الايدلوجيات والفلسفات المعاصرة

الفهـرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٧٠٣/١٩٨٧

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١٤٤٣ ـ ×